دراسات تاريخية

عبدالسلام صبحي طه

تلّ التوبة (النبيّ يونس)

في ضوء النصوص
الدينيّة والتاريخيّة والمكتشفات الأثريّة

دراسة مقارنة

مراجعة
عامر عبدالله الجميلي

الفيحاء

تلّ التوبة (النبيّ يونس)

في ضوء النصوص الدينية والتاريخية والمكتشفات الأثرية

دراسة مقارنة

تل التوبة (النبي يونس)

في ضوء النصوص الدينية والتاريخية والمكتشفات الأثرية

دراسة مقارنة

عبد السلام صبحي طه

مراجعة: أ.د.عامر عبدالله الجميلي

Tell Al-Taubah «Al-Nabi Yunus» (Jonah's Hill of repentance)
In the light of Religious, Historical Texts and Archaeological Discoveries
A Comparative study

By Abdul Salam Subhi Taha

موقع المؤلف الرسمي
www.iraqinhistory.com
لمراسلة المؤلف
iraqinhistory@gmail.com

الطبعة الأولى: يناير ـ كانون الثاني، 2020 (1000 نسخة)

بيروت ـ لبنان

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة.
حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافةً نابضةً بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخةً أصليةً من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيٍّ من أجزائه بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتّاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.

لبنان ــ بيروت/ الحمرا
تلفون: 345683 1 961+/541980 1 961+

بغداد ــ العراق/ شارع المتنبي عمارة الكاهجي
تلفون: 9647811005860+/9647714440520+

info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar.alrafidain
دارالرافدين@daralrafidain_1

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 623 - 62 - 7

عبد السلام صبحي طه

تلّ التوبة (النبيّ يونس)

في ضوء النصوص الدينية والتاريخية والمكتشفات الأثرية

دراسة مقارنة

مراجعة
أ.د.عامر عبدالله الجميلي

www.daralrafidain.com

المحتويات

الإهـداء 7
كلمة عِرفان 9
تقديم 11
مقدمة المؤلف 13
نينوى في النصوص العراقية القديمة 19
نُبذة عن دلالات السمكة (الحوت) في التراث الفكري العراقي القديم وثقافات الشعوب المجاورة 25
النبي يونان وتل التوبة في الديانات التوحيدية 34
النبي يونان وتل التوبة في العهد القديم 35
النبي يونان وتل التوبة في العهد الجديد والمدونات السريانية 41
النبي يونس وتل التوبة في القرآن الكريم والمصادر الإسلامية 46
تل التوبة (النبي يونس) في مدونات الرحالة الأجانب 57
التنقيبات الأثرية في تل النبي يونس 63
مواضع أخرى تنسب إلى النبي يونس 81
استنتاجات 89
المصادر والمراجع 97
قائمة بالصور 105
عن المؤلف 109

الإهـــداء

إلى العـــــــــراق وحسب

للحقيقة جوهر واحد وما
لا يُحصى من الهوامش

كلمة عِرفان

انبثقت فكرة هذه الدراسة خلال حوارٍ كنت قد أجريته مع الآثاري العراقي الدكتور بهنام أبو الصوف، ونشرته على صفحة موقعه الإلكتروني قبل نحو عقدٍ من الزمان، لروحِ معلمي الراحل الذي غمرني بعلمه ورعايته السلام والرحمة في الأبديَّة، ووافر الشكر إلى كل من الأساتذة الأفاضل:

ـ الدكتور عبد الأمير الحمداني على تشجيعه لي لإنجاز البحث ونشره.

ـ الأستاذ الدكتور عامر عبد الله الجميلي على المراجعة الأكاديمية الرصينة.

وتقديري الخاص للجهود التضامنية في إبداء الرأي بالنصح والمشورة لكل من الأساتذة الأفاضل:

ـ الآثاري الموصلي حكمت بشير الأسود، الباحث حميد الشمري، والأستاذ الدكتور عادل هاشم علي من كلية الآداب في جامعة البصرة. ولا يفوتني الثناء على دار الرافدين ممثلةً بمديرها العام الأستاذ محمد هادي، وفريقها الرائع على التعاون في دعم الكتاب وانجازه. كما أقدم امتناني للأديب الأستاذ عواد علي الذي قام بالمراجعة اللغوية للكتاب.

أرجو أن يكون هذا الجهد إضافة لمسيرة البحث الطويلة، وخط شروع جديد لمداولات علمية مستقبلية جادة بخصوص كثير من القضايا المسكوت عنها في التراث الثقافي العريق لبلاد النهرين، وكلّي أملٌ أن يكون هذا المسعى مؤشراً صحياً لتعافي هذه البلاد عبر تحفيز الحوار والجدل بالأسلوب العلمي المنهجي؛ لتلتحق برُكب العالم المعاصر وتعود، كما كانت على مر التاريخ مهداً للعلم والإبداع والحضارة.

عبد السلام صبحي طه

بغداد ـ 2019

تقديم

كُتب الكثير من الدراسات والمقالات والبحوث عن المرقد المنسوب للنبي يونس بالموصل، وخاض في موضوعه العديد من الباحثين والمصنفين قديمهم وحديثهم ومعاصرهم، وتناولوه بالإيجاز والتفصيل في كتبهم ومؤلفاتهم، عرضاً أو قصداً، لكني وجدت أن هذه الدراسة بسطت القول فيه بشكل مختلف، من ناحية تحليل المصادر الأولية والدراسات السابقة، ومناقشة النصوص والشواهد التاريخية التي أتت على ذكره، سواء أكانت مقدسةً (العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم)، أو سواها من المصادر التاريخية والمراجع الحديثة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، ما كُتِب عن الجامع وتاريخ بنائه ومراحل إعماره وأدواره التاريخية وصيانته وترميمه، وناقش الباحث بجرأة ونهج علمي رصين مسألة غرق النبي وابتلاعه من قبل الحوت ثم لفظه على الساحل، وانتهاءً بمقدمه إلى نينوى، وإمكانية مكوثه فيها مدةً، أو احتمالية عودته إلى بلدته قرب الناصرة في فلسطين. كما انفرد الباحث في هذه الدراسة، وبحكم كونه من الخبراء وذوي الشأن الآثاري، بالاعتماد على الأدلة المادية والإتيان بشواهد جديدة، ومصادر أخرى أحدث، منها نتائج مسوحات، وبعض حفريات ومجسات، وسبر آثاري ـ على قلّته ـ التي أدارها وأجراها بعض منقبي الآثار من الرواد، والبعثة الآثارية الألمانية التي قدمت حديثاً،

وستضطلع بمهام جسيمة، وتقع على عاتقها مهام منها جمع مخلفات أنقاض الجامع في أعقاب أحداث سيطرة عصابات داعش على نينوى، وما رافقها من عمليات تفجير وتخريب أو نبش وحفر عشوائي لخنادق وأنفاق في التل الأثري الذي يُفترض أن يضم الضريح، ويستبطن الطبقة الحضارية والأثرية، ومنها، من دون أدنى شك، قصر الملك الآشوري أسرحدون.

لقد سلطت هذه الدراسة الضوء على هذا الموقع الديني بشكل أعمق ممن سبقه، وأحاط المؤلف بتفاصيل عن المكان، بما تيسر له من وسائل وسبُل معاصرة، إحاطة القلادة بالعنق، والسوار بالمعصم.

وختاماً أتمنى أن تنفع هذه الدراسة طلبة التاريخ والآثار والباحثين، وتوسع من دائرة معلوماتهم، وتغيّر الصورة النمطية والمشوشة عن الموقع بما تحمله من معطيات جديدة من شأنها إعمام الفائدة، والمضي باللاحق، وما انتهى إليه الآخرون من نتائج علمية.

ومن الله التوفيق.

أ. د. عامر عبد الله الجميلي
رئيس قسم الآثار
كلية الآثار ـ جامعة الموصل

مقدمة المؤلف

إثر سقوط مدينة الموصل وقرى محافظة نينوى تحت سيطرة تنظيم داعش الإرهابي، عُرض فيلم ظهر فيه تدمير موقع جامع النبي يونس في 24/ 7/ 2014، وأفادت المعلومات المتداولة أن التنظيم حفر ستة أنفاق تحت تل النبي يونس (تل التوبة)، حيث تسللت منها عناصره إلى الداخل، ووردت أنباء غير مؤكدة، أو ربما من باب الإشاعات، تقول إنَّ تنظيم داعش كان يحفر في أطلال الجامع (أثناء الليل) لاستخراج قطع أثرية، وينقلها خارج الموقع لتهريبها إلى أوربا عن طريق تركيا. وهناك آراء أخرى أشارت إلى أن هذه الأنفاق قديمة، وربما تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر، حيث جرت حفريات قام بها بعض المستشرقين والقناصل الأجانب.

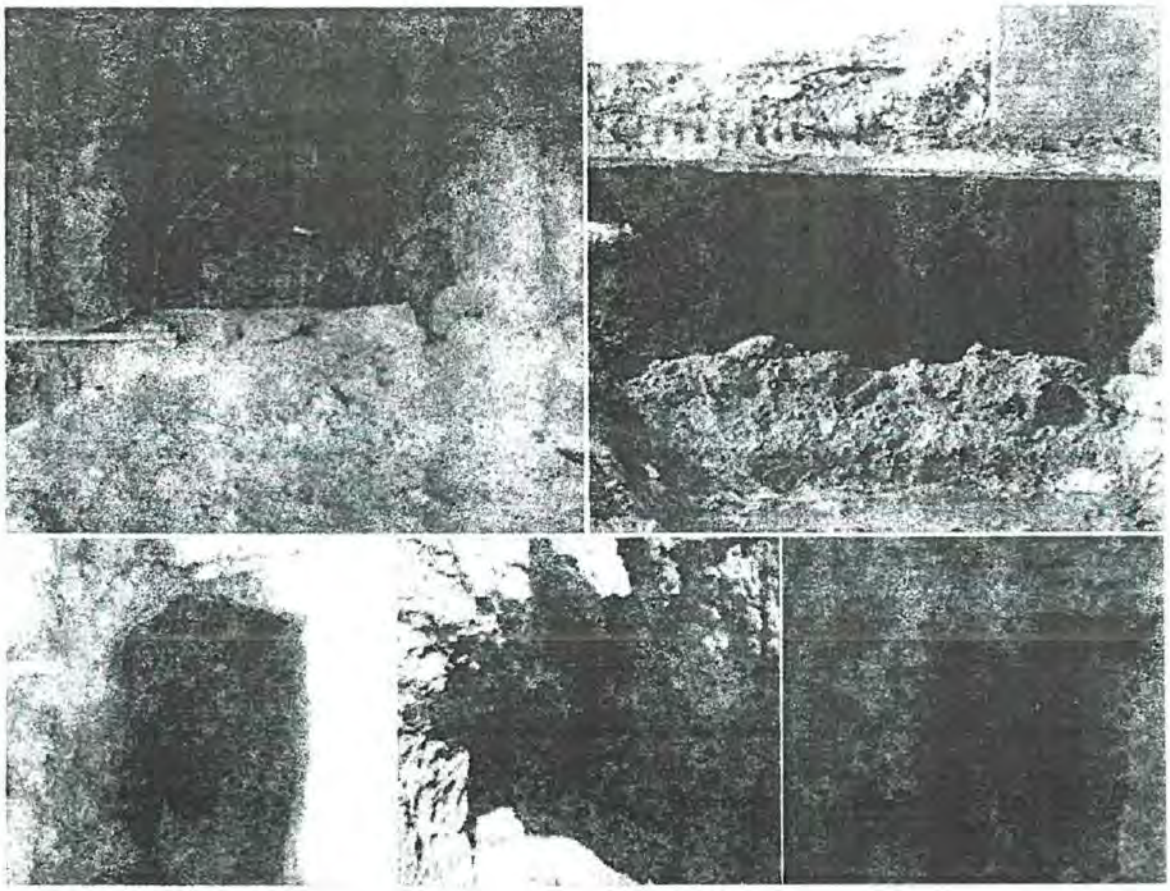

شكل (1): صور حديثة للأنفاق التي وجدت في أسفل تل النبي يونس بعد تحرير الجيش العراقي للمنطقة عام 2017

تقع التلول الأثرية للعاصمة الآشورية نينوى على الجانب الشرقي من دجلة جنوب مدينة الموصل[1] القديمة، وهي تتمثل بالسور الذي يحيط بالمدينة، والموضعين المعروفين بتل التوبة (النبي يونس)، وتل قوينجق[2]، وقد جرى

(1) نقصد بالموصل القديمة مدينة الموصل في القرون الوسطى، أما الموصل الحالية فيقع تل قوينجق ضمنها.

(2) قوينجق كلمة تركية مركبة من كلمتين (قوي أو كوي) وتعني: قرية أو موضع و (أنجق ـ أنجك ـ أنجيك) وتعني: وسم أو ختم الأغنام، فيكون الاسم كاملاً باللغة التركية (موضع ختم الأغنام)، وتتبع التسمية جماعة من التركمان نزلوا في أطلال نينوى فسميت باسمهم. (المراجع).

التنقيب طويلاً في هذا الأخير إبان القرن التاسع عشر، ويحوي جملةً من المباني المهمة، ففي الشمال أطلال قصر العاهل آشور بانِ إبلِ (آشور بانيبال، 669 ـ 627 ق. م)، وإلى الجنوب معبدا الإله نابو والإلهة عشتار، وإلى أقصى الجنوب قصر العاهل سين أخي ريبا (سنحاريب، 704 ـ 681 ق. م).

أمَّا التل الآخر المسمّى بـ«تل التوبة» أو تل النبي يونس، والذي هو ذاته يونان الذي يُنسب له سِفر «يونان» في العهد القديم[1]، فإنه ينتصب في قرية يدعوها سكان الموصل بقرية «نينوى»، ويضم بقايا لحصون مدينة نينوى القديمة وأسوارها، ومستودعاً عسكرياً أنشأه سنحاريب، وفيه قصر لابنه آشور أخي إدِينا (أسرحدون، 680 ـ 669 ق. م)، ملحقة به مخازن للأسلحة، كما يضم مصطبةً عاليةً، وتوجد فيه إحدى بوابات المدينة الرئيسة.

مدينة نينوى ذات تاريخ عريق يرقى إلى الألف الخامس قبل الميلاد، وكانت في الأصل قريةً زراعيةً وسّعها الآشوريون، وأصبحت عاصمةً لهم لقرون عديدة. أسقطها تحالف من القبائل الميدية في إيران والكلدية في بابل عام 612 ق. م، وحكمتها بابل حتى سقوطها على يد الفرس الأخمينيين عام 539 ق. م، وظل الحال على هذا النحو حتى مجيء الإسكندر المقدوني عام 331 ق. م حيث أنهى حكمهم.

---

(1) الحكيم أو النبي المدعو (يونه، يونان)، والوارد ذكره في العهدين القديم والجديد، وباسم «يونس» في القرآن الكريم هو ربما أحد المرحّلين من مقاطعة إسرائيل الشمالية (السامرة) في فلسطين من الذين أتى بهم الملك الآشوري سنحاريب والد أسرحدون، ويبدو أن يونان كان على شيء من الحكمة، الأمر الذي دعا الملك أسرحدون لاحقاً إلى تقريبه، واتخاذه مستشاراً له (من تصريح للدكتور بهنام أبو الصوف في لقاء مع الباحث).

بعد وفاة الإسكندر المقدوني في مدينة بابل عام 323 ق. م، بقيت مدن بلاد النهرين، ومنها الآشورية، تحت حكم خلفاء الإسكندر من السلوقيين حتى حوالي عام 126 ق.م، حيث سقطت بعدها تحت الحكم الفرثي، وأعقبها الحكم الساساني[1] الذي دام طويلًا، فأفقر المدن الآشورية، وجردها من هويتها المحلية. ولم تعد هذه الحواضر كسابق عهدها، فقد بادت وتهدمت مبانيها، وخلال الحفريات القليلة التي جرت في تل النبي يونس لم يُعثَرْ قريباً من الجامع إلّا على بقايا بوابات، وقواعد تماثيل للفرعون المصري تهراقا، وثور مجنّح مع تماثيل ثيران أخرى غير مكتملة.

دخلت الديانة المسيحية إلى العراق في بدايات القرن الثاني بعد الميلاد، واتخذت نينوى مكانةً خاصةً عند النساطرة السريان، وشهدت تطوراً كبيراً في بناء الأديرة والكنائس، منها دير يونان بن امتاي، وهو الدير الذي غدا جامع النبي يونس لاحقاً.

لكن ما هي حقيقة هذا الموضع، ومن هو المدفون في الناؤوس أسفل

---

(1) كان الساسانيون يعتنقون الزرادشتية كعقيدة دينية، وقاموا بتشييد معابد نار لهم في كل أنحاء العراق، ومنها بالطبع مدينة نينوى حيث سكنت جالية فارسية قرب الحصن الغربي في القرية المسماة نوردشير. وقد اهتم ملكهم خسرو (كسرى) أبرويز بن هرمز بأمر إسكانهم وبنى لهم فيها دوراً. وبحسب المؤرخ الموصلي سعيد الديوه جي، فقد ورد ذِكر معبد زرادشتي فوق التلة القديمة التي ضمت الآثار الآشورية تحتها وهو المعروف بـ«معبد الرماد» لأنهم كانوا يحرصون على استمرارية اشتعال النار في المعبد. وكلما تراكم الرماد في النار كانوا يطرحونه خارج المعبد في مكان قريب منه. لكن هذا الرأي، بحسب الباحث العراقي د. عامر عبد الله الجميلي، ضعيف، ولا يُعتد به لأن هذا الرماد يعود إلى إحدى طبقات وأدوار العصر الآشوري الحديث، وهو من آثار الحريق الذي قام به تحالف الميديين والكلديين إثر دخولهم مدينة نينوى، وإسقاط آخر إمبراطورية آشورية عام 612 ق. م. (التعقيب الأخير للمراجع).

الجامع الحالي في (تل التوبة ـ شرق مدينة الموصل)؟ هذا ما سنحاول تناوله من عدة زوايا في هذه الدراسة.

وتماشياً وتماهياً مع منهج المدرسة العراقية في التاريخ والآثار، فقد استخدمنا الأسماء الأصلية لملوك العراق القديم الواردة في النصوص المسمارية، وباللغة الأكدية (بشقيها الآشورية و البابلية)، ووضعنا بين مزدوجين الصيغة المتداولة والمنحولة عن المدونات التوراتية، والتي لا نشجع على استخدامها، وكذا استخدمنا اسم «بلاد النهرين» للتعبير عن العراق التاريخي، وابتعدنا عن تسميته بـ«بلاد ما بين النهرين» أو «بلاد الرافدين» كونها لا توّصف البلاد بشكل دقيق، وهو لبس ينبغي التصدي له.

ولابد من التنويه أيضاً، إلى أنه قد تم اعتماد كتاب أستاذ علم الآشوريات ليو اوبنهايم (بلاد ما بين النهرين القديمة، النسخة الانكليزية) في تثبيت تواريخ الاحداث وحكم الملوك القدماء.

الشكل (2): المخلوق الأسطوري (أونس/Onnas) في جدارية

«ظهر على شاطئ كلديا كائن ضخم من البحر يدعى «أونس» بجسم يشبه السمكة، وتحت رأسه رأس آخر يشبه النسر نما أسفل رأس السمكة، له أقدام بشرية نمت من ذيل السمكة ويمتلك صوتاً بشرياً، وكان يقضي نهاره بين سكان أريدو يعلمهم الكتابة والعلوم، وتشييد المعابد والهندسة، وكشف لهم عن زراعة الحبوب وقطف الثمار».

عن كتاب «بابليات» للكاهن البابلي برعوشا (بيروسس)
القرن الثالث قبل الميلاد

نينوى في النصوص العراقية القديمة

دلت التحريات التي أُجريت من قبل الآثاري البريطاني ماكس مالوان في مدينة نينوى عام 1932 م، أنها كانت في الأصل قرية من قرى عصور ما قبل التاريخ (5000 ـ 4000 ق. م)[1]، وربما استوطنتها أقوام خرجت من الجبال الشمالية الشرقية، كونها تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة، وهي ليست بعيدةً جداً عن جبال طوروس إلى الشمال منها، وأخذت تنمو بمرور الزمن، فازدهرت في عصور الحضارة العراقية القديمة المتعاقبة (السومرية والأكدية)، وكانت تابعةً للإمبراطوريات التي تكونت في الجنوب، واسمها سومري في الأصل، يماثل اسم للمدينة (نينا) وهي (تل زرغُل) الحالية، التابعة لمملكة لكش السومرية في الجنوب[2]، وقد وردت في الكتابات القديمة بعلامة صورية للآلهة «نينا» أو «نينوءَ»، وهي ذات العلامة «المسمارية» السومرية التي تكتب بها المدينة، فالاسم ربما

---

(1) تم التنقيب في نينوى بشكل متقطع منذ عام 1843، إلا أن معظم النشاطات كانت تركز على العصر الآشوري في الألف الأول ق. م، وإن الاستثناء الرئيس هو المجس الذي حفره ماكس مالوان عام 1932، والذي وصل فيه إلى الأرض البكر تسعين قدماً تحت قمة التل. وبينما أعطى ذلك تسلسلاً من الفخار إلى عصور ما قبل التاريخ، وأظهر أن الموقع كان مستوطناً منذ نحو 5000 ق. م فإن ما قدمه من معلومات يبقى قليلاً بالنسبة لنمو المستوطن الأول إلى مدينة رئيسة (ساكز، هاري، **قوة آشور**، ترجمة د. عامر سليمان، 1999، ص 42).

(2) باقر، طه وسفر، فؤاد، **المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة: الرحلة الثالثة**، 1962، ص 24.

تبع الإلهة «نينا» التي قُدست في هذه المدينة[1]، ولها ارتباط بعبادة الإلهة السمكة.

كُتب اسم المدينة بمقاطع صوتية بالصيغ الآتية (أورُ ـ ني ـ نو) و (أورُ ـ ني ـ نو آ) و (أورُ ني ـ نا آ) وتعني «موضع السمكة»، وقد حافظت على اسمها في المصادر الآرامية والعبرية والعربية اللاحقة بالصيغة (نينوى)[2].

كانت نينوى، خلال حكم السلالة الأكدية، إحدى المدن الرئيسة التي ورد ذكرها في أخبار العاهل الأكدي مانشتوسو[3] (2269 ـ 2255) ق. م، والملقب بـ «ملك كيش»، والتي يذكر فيها أنه أنشأ معبداً كبيراً للإلهة عشتار في نينوى، وهذا أحد الدلائل على كون عشتار الإلهة القومية للمدينة على مر تاريخها. وقد عَثر الآثاري البريطاني كامبل تومسن عام 1931 في هذا الموقع على التمثال البرونزي الشهير لرأس الملك الأكدي المنسوب إما لمؤسس السلالة الأكدية شروكين الكبير (سرجون)، أو حفيده الإمبراطور نرام سن[4].

---

(1) نينا. آ NINA.A، وننو. آ NUNU.I، انظر: لابات، رينيه، **قاموس العلامات المسمارية**، ترجمة د. عامر سليمان، 2004، ص 258.

(2) حنون، نائل، **مدن قديمة ومواقع آثرية**، 2009، ص 167.

(3) وهو ابن مؤسس السلالة الأكدية العاهل شروكين (سرجون، 2279 ـ 2334 ق.م) ووالد الإمبراطور نرام سن (2254 ـ 2218 ق. م)، (الباحث).

(4) للمزيد، انظر المقال الموسوم «تمثال الرأس البرونزي للملك الأكدي»، عبد السلام صبحي طه، جريدة بين نهرين، العدد 110/ 6 شُباط 2019.

نينوى عاصمة العالم

استمر حضور نينوى في العصور الآشورية، بوصفها إحدى المدن المهمة، إلى جانب العواصم الملكية الأخرى: آشور، وكلخُ (نمرود[1])، ودور شروكين (خُرسباد)، وبلغت المدينة أقصى مجدها الإمبراطوري خلال العصر الآشوري الحديث (الألف الأول ق. م)، منذ اعتلاء الملك الآشوري سين أخي ريبا (سنحاريب، 704 ـ 681 ق. م) للعرش، حيث كانت أهم أولوياته ترميم مدينة نينوى القديمة بشكل يليق بها كعاصمة له، ومن سيخلفه حتى انهيار الإمبراطورية الآشورية عام 612 ق.م[2]. ولسنحاريب إنجازات مهمة في ري المدينة وما حولها بأعمال إروائية كبيرة، كانت تكفي لري ما يمكن اعتباره جنائن نينوى، والتي دار الحديث عنها وجرى حول الأمر الكثير من اللغط العلمي كونها ربما الموضع الحق للجنائن[3] التي نُسِبَت إلى موضع آخر في بابل الكلدية. وترقد تحت التل المعروف اليوم بتل النبيّ يونس مجمعات وأماكن استعراض القوات العسكرية (بالأكدية إيكال مشارتي Ekal Misharti)[4]، ومن ضمنها الإسطبلات الملكية ومخازن الأسلحة، والتي شيدها سين أخي

---

(1) الاسم نمرود أطلق على العاصمة الإمبراطورية الآشورية كلخُ (وقد وردت بالاسم كالح في العهد القديم)، ولا علاقة له بالشخصية الأسطورية المدعوة «الملك النمرود» الوارد ذكرها في العهد القديم، وأغلب الظن بحسب مراجع الكتاب، أن اسم نمرود تصحيف للأصل (ننورتا/ نموردا ـ إله الصيد عن الآشوريين)، وقد وردنا اسم لملك آشوري (توكلتي ننورتا) والذي يعني (المتوكل على الإله ننورتا)، (الباحث).

(2) ساكز، هاري، **قوة آشور**، بغداد، 1999، ص 144.

(3) **Dalley, Stephanie, The Mystery of the Hanging Garden of Babylon: An Elusive World Wonder Traced,** (2013).

(4) المصدر نفسه.

ربيا (سنحاريب) آنذاك، تلتها توسيعات ابنه آشور أخي إدِينا (أسرحدون، 680 ـ 669 ق. م) على الموقع وجعله محلا لقصره الواقع تحت التل الآن. وأسرحدون هو الذي وصلت الإمبراطورية الآشورية في عهده إلى مديات غير مسبوقة ابتلعت فيها أرض مصر في عهد الفرعون النوبي تهراقا[1]، وتوغلت في قلب الأناضول الحيثية، وأخضعت بلاد الشام وفلسطين لسلطتها. وقد توفي أسرحدون عام 669 ق. م، وهو في طريقه إلى مصر خلال حملته الثانية من جديد، بعد أن شقَّ تهراقا عصا الطاعة، واعتلى العرش من بعده إبنه الملك الشهير آشور بانِ إبلِ (آشور بانيبال، 669 ـ 627 ق. م)، ويُعدُّ هذا الملك بحق خير خليفة استطاع أن يحافظ على وحدة الإمبراطورية الآشورية ومنعتها، وهو الذي لُقِّب بالكتبي والمثقف، بسبب اهتماماته المعرفية، حيث ركز كثيراً من جهوده في جمع مدونات العراق القديم وضمها إلى مكتبته العظيمة في نينوى (تل قوينجق)، وقد برزت في أواخر عهده (627 ق. م) سلالة كلدية في بابل كانت أحد الأطراف الفاعلة في إنهاء الوجود الآشوري تاريخياً، وتهديم العاصمة الإمبراطورية نينوى عام 612 ق. م[2]، بالتعاون مع الأقوام الميدية القادمة من الشمال الشرقي لبلاد آشور بقيادة زعيم يدعى كي اخسارا، وهو الذي روج له الكتّاب والرحالة الإغريق قصة ضعيفة، مشكوك فيها، ربما منقولة عن الكاهن

---

(1) بخصوص المقتنيات المصرية التي وجدت في تنقيبات مديرية الآثار العامة والقديمة في تل النبي يونس، انظر: الفصل الخاص بها الذي سيرد لاحقاً في هذا البحث تحت بند التنقيبات، ـ فيكنتيف، فلادمير، **تعليقات على تماثيل تهراقة من قصر أسرحدون**، مجلة سومر، المجلد 11، بغداد، 1955.

(2) وصلت قوات الغزو الميدي مدينة نينوى عام 614 ق. م، بينما وصلت القوات البابلية الكلدية عام 612 ق. م، والأولى عاثت بها خراباً وتدميراً أولاً، بينما لم تقم القوات الكلدية بتدميرها (التصريح للدكتور بهنام أبو الصوف في مقابلة مع الباحث).

البابلي برعوشا[1] (بيروسس)، الذي عاش في القرن الثالث ق. م، وتتعلق

---

(1) برعوشا أو برعوثا من البابلية (بل راعي شو، وتعني: بعل أو مَردوك هو مؤازري)، ووردت أيضا (بل أو بعل اوصّر، وتعني: آزرني يا بعل أو مَردوك)، ومنها الاشتقاق بيروسا أو بيروسوس المعروف باليونانية، لا يوجد تحديد دقيق لتاريخ ميلاده ووفاته، ولكننا نستطيع أن نخُمن أنه، مما بين أيدينا من أخبار، ولد وعاش خلال أو بعد احتلال الإسكندر المقدوني لمدينة بابل (331 ـ 323) ق.م، وبحسب المصادر الإغريقية فإنه ربما عاصر الحاكم السلوقي انطيخوس الأول (281 ـ 260) ق. م، ويرد عنه أنه أحسن معاملة كهنة وعلماء بابل، ورمَّم معابدهم. ويبدو أن برعوشا قد تم تكريمه ونقله من بابل للاستقرار في جزيرة كريت اليونانية، وتوفي هناك، وربما تم تخليده بتمثال في أثينا لمساهماته العلمية الكبيرة، كما يبدو أنّ برعوشا كان كاهناً متبحراً في علوم وأسرار الفلكيات البابلية، وأخبار التاريخ العراقي القديم، وما وردنا عنه أن له مؤلفاً موسوعياً مهماً عنوانه «بابليات ـ كلديات» (Kaldaica ـ Babyloniaca) حاول أن يؤرشف فيه تاريخ بلاد النهرين. وربما أهدى برعوشا مؤلفه هذا حينها إلى العاهل انطيخوس كعرفان للاهتمام والرعاية. الكتاب مفقود ولم يصل إلينا منه سوى مقتطفات على لسان المؤرخين الإغريق، مثل يوسفوس واوسيبوس وآخرين من شمال إفريقيا ورومان. وبحسب الوصف فإن المؤلَّف يحتوي على 3 أجزاء:
أساطير الخلق في أرض بابل (سومر وأكد، آشور وبابل) ـ أخبار أرض بابل قبل وبعد الطوفان، وقائمة بالحكام بالأسماء والتواريخ منذ ما قبل الطوفان وحتى السلالة الكلدية الأخيرة في أرض بابل بعد سقوط إمبراطورية السلالة الكلدية (البابلية الثانية)، وثبت بأسماء حكام البلاد منذ دخول الأخمينيين وحتى عصر الإسكندر المقدوني وبدقة متناهية من حيث عدد السنوات.
يُظهر هذا المؤلَف دقة الكاهن والعالم والمؤرخ برعوشا وعلميته من حيث تطابق الأخبار مع المصادر الأخرى، وكذلك يعتبر الكتاب إحدى ركائز ما ورد عن علوم الفلك البابلية المتقدمة (تعرف بالعلوم الكلدية)، والتي أفادت كثيراً الحضارات التي تلتها، وأهمها اليونانية والعربية والرومانية، ومنها إلى قلب أوروبا عن طريق ما مررته روما إلى وريثاتها الأوروبيات، حيث يرد تصنيف للعالم الكلدي برعوشا وكتابه في مؤلَّف من جزأين لملك موريتانيا العظمى في شمال إفريقيا يدعى «جوبا»، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الكلاسيكية للمؤرخين الرومان في القرن الثاني الميلادي، وأحد مصادر انتقال العلوم الفلكية البابلية إلى قلب أوروبا الرومانية القديمة. للمزيد، انظر، عبد

بتزويج ابنة «كي اخسارا» الميدي من نابو كودوري أوصّر (نبوخذ نصّر، 604 ـ 562 ق. م) الثاني، وهو ابن الملك البابلي الكلدي نابو إبلِ أوصّر (نبوبلاصر، 625 ـ 605 ق. م)، وقائد جيوشه، رغبةً في تقوية العلاقة من خلال المصاهرة السياسية.

الواحد علي، فاضل، **سومر أسطورة وملحمة**، بغداد، 2000. وبوتيرو، جان، **الديانة عند البابليين**، ترجمة وليد الجادر، 2017. و The Babyloniaca of Berossus, Undena Publications Malibu , 1978.

نُبذة عن دلالات السمكة (الحوت) في التراث الفكري العراقي القديم وثقافات الشعوب المجاورة

ننتقل، بعد الشرح الموجز الذي قدمناه عن مدينة نينوى ومآثرها في التاريخ، إلى حقل آخر لا يقلُّ أهمية، يتعلق بالفكر العراقي القديم، الذي تمَّ تناقله وتطويره على مراحل عصور حضارة العراق المتعاقبة من السومرية، مروراً بالآشورية، وصولاً إلى البابلية الكلدية، فالحضارة العراقية القديمة نهرينية خالصة، وللماء فيها حصة مهمة، انسلّ إلى مضامينها الفكرية، وأحد هذه العناصر الأسطورية المهمة ما يتعلق بالإله الخالق، أو الصانع (واسمه إنكي[1] بالسومرية، ويعادله ايا بالأكدية)، وهو الذي أسهم في خلق الإنسان الأول (لو ـ LU)، بالتعاون مع الإلهة ـ الأم وسيدة الولادة (مامي، أو نين تي)، ثم أرسل للبشر لاحقاً عصبةً من حكماء سبعة، جرت

(1) الاسم «إنكي En_Ki» باللغة السومرية يتألف في الأصل من مقطعين «إين: En تعني سيد،وكي KI تعني أرض»، فيكون معناها: سيد الأرض. ومن كلمة «إين» لدينا بالعربية كلمة «عين» وجمعها أعيان ومنه «مجلس الأعيان او السادة»،وكلمة «كي» قد تكون هي التي اشتقت منهاكلمة «گاع أو قاع» باللهجة العراقية الدارجة.
و«إنكي» بالسومرية أصبح باللغة الأكدية يُلفظ «ايا ـ EA» ،مع العلم ان لفظة ماء بالسومرية «ا ـ A» وهي ذات العلامة المسمارية لسائل الحياة والاخصاب. مما قد يدعونا ربما للاستنتاج أن يكون مرادفه بالعربية «حيا» فهو الاله الذي يخلق كل شيءٍ حي من الماء، ومن الممكن عقد صلة ما بين اسم النبي « يحيى» وهو يوحنا المعمدان الذي كان يعمذ بالماء، واسمه الذي يرتد بالاصل الى هذا الجذر فيكون «يا حيا» من الارامي المندائي «يا هيا» وكلها مشتقة من الأكدي «يا ايا» والذي يعادل التعبير الدارج «يا الله»، (الباحث).

تسميتهم بـ«الآبكالُ»[1]، وكانوا يظهرون بهيئة مزدوجة مكونة من (رجل وسمكة)، يخرجون من البحر صباحاً، وينقلون المعارف والحكمة إلى سكان العراق القديم، ثم يعودون إلى البحر مساءً، وكان أول ذكر لهم في بوابة معبد أيننو (تار سر سر) التي أنشأها الحاكم السومري الشهير گوديا.

السمكة في الفكر العراقي القديم تُعبّر عن مضامين الألوهية والقداسة، وهي رمز من رموز الخصوبة وتجدد الحياة، كونها ترتبط في فضائها المعيشي بالماء، وهو عنصر كل حياة (مرمزاً بالإله إنكي أو ايا)، ولذا كان ارتباطها مشتركا ما بين الإلهي والبشري في ذات الوقت.

وقد وردنا تفصيل للأمر المختص بالرجل السمكة منسوب إلى الكاهن البابلي برعوشا، أو بيروسوس باليونانية (عاش في حوالي القرن الثالث ق.م) في النص الآتي:

«ظهر على شاطئ كلديا كائن ضخم من البحر يدعى «أونس Oannes»[2] بجسم يشبه السمكة، وتحت رأسه رأس آخر يشبه النسر نما أسفل رأس السمكة، له أقدام بشرية نمت من ذيل السمكة، ويمتلك صوتاً بشرياً، وكان يقضي نهاره بين سكان أريدو يعلمهم الكتابة والعلوم وتشييد المعابد والهندسة، وكشف لهم عن زراعة الحبوب وقطف الثمار، وعند الغروب كان يغطس ثانية في البحر ويقضي ليله في الماء. بعد ذلك ظهرت كائنات

---

(1) الآبكالُ: كلمة أكدية وتعني الكاهن او الحكيم العارف، من الأصل السومري AB.GAL، عبد الواحد علي، فاضل، **سومر أسطورة وملحمة**، 2000.

(2) أونس أو أوناس، هو مخلوق (آبكالُ) بالاكدية ومنها (أفكل) بالعربية وتعني حكيم، ورد في الاسطورة انه يتبع إنكي إله الخلق والمعرفة والسحر، ولذا كان كهنة التعازيم في العراق القديم يضعون رداءً من جلد سمكة ترميزا لهذا الإله، وقد وجدت عظام الأسماك في سقوف الكثير من المعابد المخصصة للتبرك به. باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، 2010، ص 166 ـ 169.

أخرى على هيئة بشر بجلود أسماك مجموعها سبعة، يُنسب واحد منها إلى كل واحدة من مدن سومر السبعة (كُلّاب، شروباك، اريدو، نيبور، اور، كيش، ولگش)، واقترن بملك من ملوكها كمستشار. ولقبهم الآخر هو الحرفيون أو «الخبراء» Ummia، وكذلك عرفوا بحاملي «ألواح الأقدار السبعة».

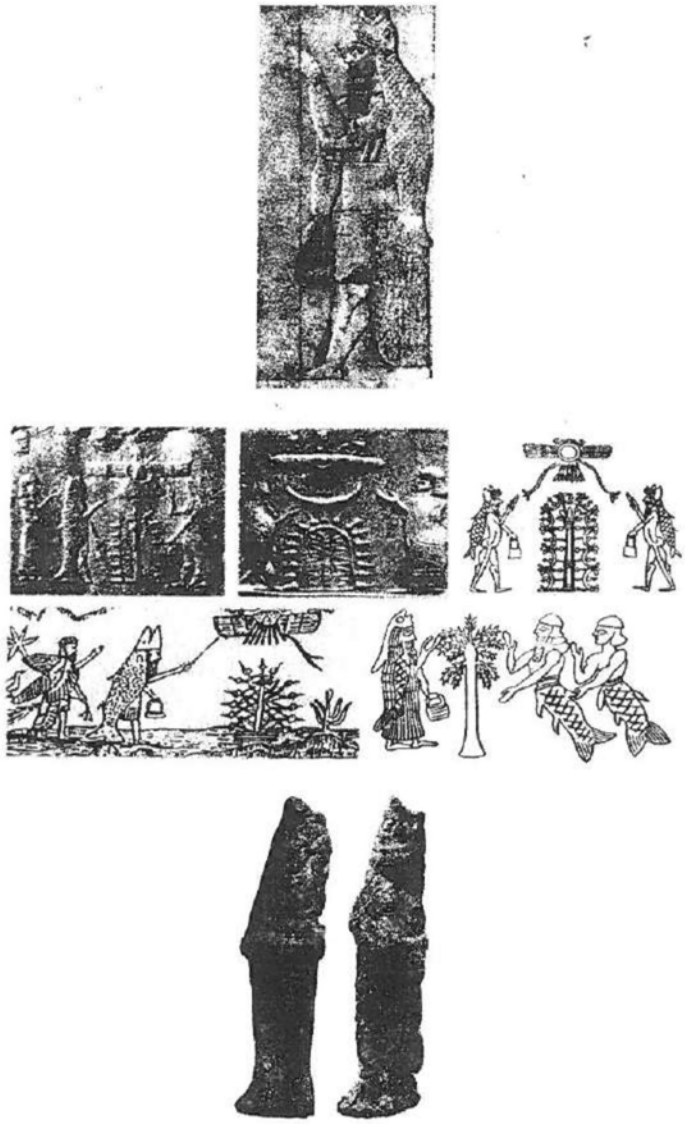

الشكل (3): نماذج من طبعات أختام وتماثيل عراقية قديمة تُظهر الآبكالُ (الرجل ـ السمكة)[1]

(1) Black, Jermey et al, **Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, An Illustrated Dictionary**; (1992),P.18,P.83.

في الكثير من المشاهد الواردة في الأختام والمنحوتات والنُّصب يظهر الكاهن المعزّم (الاشيبو باللغة الآشورية[1]) مرتديًا جلد السمكة على الرأس ليؤكد صلته المقدسة بالإله إنكي (ايا)، ويُشاهد وهو يحمل دلو الإخصاب المقدس[2] الذي يرمز إلى ماء الحياة، ولذا يُعَدُّ السمك رمزاً عراقياً قديماً ذا دلالات تشير إلى الألوهية والقداسة وتجدد الحياة والخصوبة والخلود. ومن الجدير بالذكر أن معابد الإله إنكي، التي عُثر عليها وسط وجنوب العراق، والمنتشرة[3] على ضفاف الأنهار، كانت سقوفها مُسلحة بعظام الأسماك تبركاً بهذا الإله.

وفي العصر الآشوري وُجدت بعض الأشكال المرسومة على جدران قصر العاهل آشور ناصر ابلِ (آشور ناصربال) في كلخُ (نمرود) بهيئة نماذج من (الآبكالُ/ أونس) بوجوه بشرية ورؤوس طيور، ويلبسون جلود أسماك ودعيت بالجان، وربما هي مشاهد من أسطورة عروج الحكيم آدابّا[4] إلى السماء.

---

(1) كونتينو،جورج، **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، 1986، ص 482.

(2) وهو مقتبس من طقس تلقيح النخيل، باعتبار أن النخلة هي شجرة الحياة في الفكر العراقي القديم، ويرتدي الآبكالُ في معصمه زهرة البابونج (البيبون) التي تشير إلى موسم الربيع وهي منتشرة بكثرة في سهول نينوى، وكذلك تشاهد في جداريات شارع الموكب في مدينة بابل (العصر البابلي الحديث/ الكلدي)، (الباحث).

(3) بعض منها يعرف اليوم بمقامات الخضر. ويبلغ عددها المائة والسبعين مقاماً في العراق، وهي في العادة أبنية صغيرة وقديمة تجاور الانهار والمسطحات المائية، وعلى الارجح ان اغلبها معابد بابلية بالاصل (عباس شمس الدين، المراقد المزيفة ، بغداد، 2018، ص 361).

(4)آدابّا، اسم لشخصية أسطورية وردت في قصة أكدية، وهو ربما يوازي آدم (الإنسان) في العقائد الدينية اللاحقة، ورد فيها أن آدابّا الصياد لحكيم في أريدو قام بكسر أجنحة الريح الجنوبية (ريح السموم المعروفة حالياً في العراق) كونها تجلب الأمراض والأوبئة، فتمت معاقبته والعروج به إلى السماء للقاء الإله آنو،

تحتلُّ أسطورة آدابّا مكاناً خاصًّا في الأدب السومري، وقد وردتنا مدونة على أربعة ألواح مختلفة (ثلاثة منها من مكتبة آشور بانِ ابلِ)، وأغلبها متضررة في أجزائها النهائية مما أسهم في عدم تكامل النص، واللوح الرابع هو أقدم نسخها بالبابلية القديمة (حوالي 1400 ق. م، وقد عُثر عليه في تل العمارنة بمصر).

إذن ربما يمكن عقد صلة ما بين اسم المخلوق الخرافي بلفظته الأكدية (أوناس ـ أونيس) والاسم الوارد لاحقاً في النصوص المقدسة والمنسوب للحكيم (يونان أو يونس).

السمكة (النون)

وردت كلمة سمكة باللغة السومرية في النصوص الاركائية (الصورية) المبكرة في أكثر من خمسين صنفاً من الأسماك، بالإضافة إلى الصيغة الأصلية التي استخدمت كعلامة دالة وهي (HA/KU)[1]. ومرادفها بالأكدية: نونو ـ واسم مدينة نينوى يتضمن معناها ولفظها (نينوا) وتعني موضع السمكة[2]. وتُكتب الكلمة بالأرامية «𐡍𐡅𐡍𐡀» وتُلفظ «نونتا»، تقابلها مثيلتها العربية «نون»[3]، ولها عدة معان، منها السمكة والحوت، وشَفْرة

وجرت بينهما محاورة نتج عنها أن آدابّا فقد فرصة الخلود لجنسه. باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، 2010، ص 166 ـ 169.

(1) لابات، رينيه، **قاموس العلامات المسمارية**، ترجمة د. عامر سليمان، 2004، ص 589.

(2) باقر، طه، **من تراثنا اللغوي القديم**، 2010، ص 174.

(3) النُّونُ: الحُوت والجمع أنْوَانٌ ونِينَانٌ، وذو النُّونِ لقب يونس بن متَّى عليه الصلاة والسلام، والنُّونُ حرف من حروف المُعجم وهو من حروف الزيادات، وقد يكُون للتأكيد مشَدداً ومُخففاً وتمامه في الأصل، وتقول نَوَّنْتُ الاسم تَنْوِيناً، والتَّنْوِينُ لا يكون إلا في الأسماء، (الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، 1986).

السَّيْف، والنونة هي النقرة في ذقن الطفل و أيضاً دواة الحبر و المداد (المحبرة).

السمكة (الحوت) في ثقافات الشعوب المجاورة

نجد من المفيد أن نعرج على قصص مماثلة تتعلق بالسمكة (الحوت) والسفينة ودورهما الإنقاذي في أساطير أمم العالم القديم، منها ما ورد، مثلاً، في واحدة من قصص ملحمة «الماها ـ بهاراتا»[1]، والتي اكتمل تدوينها حوالي 400 م في بهارات[2]، وهي قصة التجسد الأول للإله الهندوسي فشنو Vishnu (كحافظ للخلق بهيئة التجسد متسايا آفاتار Matsya Avatar)، ففي هذا الجزء يرد أن فشنو يخرج من جوف حوت ومعه سبعة حكماء[3]، لكن حضوره هنا يحمل دلالة

ـ النُّونُ: الحوت، والجمع أَنْوانٌ ونِينانٌ، وأَصله نُونانٌ فقلبت الواو ياء لكسرة النون. وفي الحديث المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام: يعلم اختِلافَ النِّينانِ في البِحار الغامِراتِ. وفي التنزيل العزيز: [ن والقلم] قال الفراء: لك أَن تدغم النون الأَخيرة وتظهرها، وإِظهارها أَعجب إِليَّ لأَنها هجاء والهجاء كالموقوف عليه، وإِن اتصل ومن أَخفاها بناها على الاتصال، وقد قرأَ الفراء بالوجهين جميعاً... (جمال الدين ابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، **لسان العرب**، 1993).

ـ حرف من حروف الهجَاء: نُونات، وأَنْوَان. وشَفْرة السَّيْف. والحُوت. والدّواة. أَنْوَان، ونِينَان. (النُّونَة): النُّقْرَة في ذَقَن الصَّبيّ الصَّغير. والسَّمَكَة (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، 2011).

(1) The Matsya Purana هو الفصل المختص بالإله فشنو في القصيدة Mahapuranas و-Matsya تعني السمكة باللغة السنسكريتية، الندوي، محمد إسماعيل، **المهابهارتا**، 1967.

(2) وهو الاسم الأصلي باللغة السنسكريتية للهند الحالية. وهذه التسمية تتبع بالأصل البطل الأسطوري «بهاراتا» الذي غزا ما كانت تعرف ببلاد الأندوس، وأسّس لسلالته الحاكمة في الهند، (الباحث).

(3) تذكرنا هذه بما ورد في الفكر العراقي القديم عن الحكماء (الآبكالُ) السبعة في أريدو، التابعين للإله إنكي.

أخرى أهم وهي إنقاذ الجنس البشري من الانقراض بإرسال إنذار إلى بطل الطوفان الهندوسي مانو[1]، الذي يظهر في النقوش وعلى جبهته رمز البيضة الهندوسي، وهذه النقطة في جوف (U) تشبه حرف النون العربي، وقد أصبحت لاحقاً رمزاً طقسياً في عقائد الهندوس، يوشم به جباه الناس ويدعى «Tilaka Oval Dot»، وهو في الواقع «وشم الخلود، أو «البذرة الثابتة»، والرّحم الذي تنطوي عليه تلك البذرة التي لم تنمُ بعد، وستغدو النصف الأسفل أو «الأرضي» من «بيضة العالم»[2].

إذاً في هذه الاسطورة، تم توظيف جوف الحوت دلالياً كرحم للخلاص.

الشكل (4): المهابهارتا ـ فصل (ماتسايا بورانا) تجسد الإله فشنو بهيئة (سمكة)

---

(1) الذي يبدو وكأنه تقمص دور أوتونبشتم (زيوسدرا) في الأساطير العراقية القديمة، وهو نوح في العقائد التوحيدية اللاحقة، (الباحث).

(2) Guénon, René, **Symbols of sacred science**,translated by Alvin Moore, New York (2002) ,P 209.

السمكة في الثقافة اليونانية والنصوص المسيحية المبكرة

في اليونانية كلمة رحم هي (ديلفوس ـ Delphus)، ومنه اشتُق اسم الدلفين (الحوت).

وكذا نجد في النصوص المسيحية المبكرة ظهور كلمة «ايخثيس» Ichtus، ومعناها الدلالي «السمكة المخلصة»، وترمز للسيد المسيح، وهي تتشكل من مجموع الحروف الأولى للكلمات التالية: الأصل اليوناني: **Ἰησοῦς Χριστὸς + Θεοῦ + Υἱὸς + Σωτήρ**

ويعادلها بالإنكليزية: **Jesus+ Christ+ Son of+ God+ Savior**

ليكون المعنى بالعربية: يسوع + المسيح + الابن + الأب + المخلص

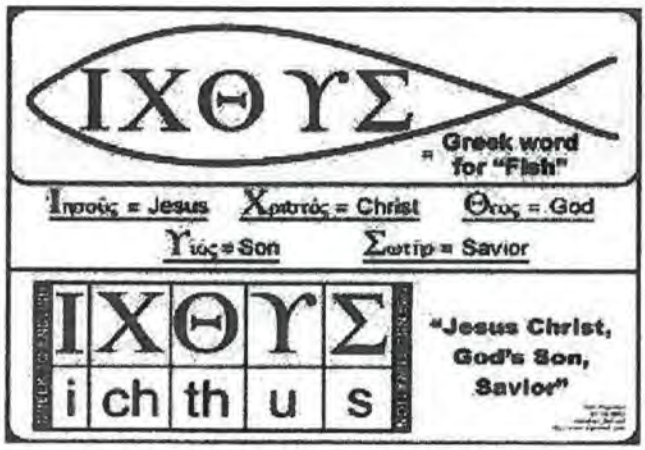

الشكل (5): تفسير اسم السمكة المخلّصة باليونانية

نون الفراعنة

في التراث الفكري المصري القديم، يرد ذِكر إله نهر النيل بالاسم (نون)، فقد تم العثور في أحد النقوش المصرية القديمة في معبد «أبيدوس» جنوب مصر (ما بين تل العمارنة والأقصُر) على ذِكر لإله باسم «نون NUN»، أو «نو Nu» بوصفه أحد كبار قدماء مجمع الآلهة الثمانية في العقيدة المصرية، والتي جعلت من «نون» بمنزلة إله بدئي[1] مع زوجته «نونيت Naunet»، فهو الخضم الأزلي الذي انبثق منه كل شيء، محيط ظلام الأزل، ليس له شكل ولا اتجاهات، سبق خلق الكون. ويشكل هو وزوجته الرحم الكوني الذي انبثقت منه كافة الموجودات فيما بعد، إنه منبع نهر النيل الخالد ووالد «رع ـ قرص الشمس» إله المصريين الأعظم. ونراه في الرسمة التي بالأسفل حاملاً القارب الذي يتوسطه قرص رع، وفي مدينة ابيدوس تم العثور على عدد كبير من بقايا الزوارق الكبيرة[2].

شكل (6): رسمة تُظهر الإله نون حاملاً سفينة يعلوها قرص الشمس «رع»

---

(1) يذكرنا هذا بالإلهة العراقية القديمة «تيامت» ومنها «تيم» العربية، وهي بمنزلة مادة الوجود الخام التي خلق الإله مَردوك من جسدها الأرض والسماء، وفصلهما من بابل حيث سُرّة الأرض، وأنشأ الوجود. وهي ذاتها «تيهوما» في العبرية اللاحقة، (الباحث).

(2) De Miroop, Van , **A History of Ancient Egypit**, Wiely Blackwell, London (2011).

النبي يونان وتل التوبة في الديانات التوحيدية

يحتل النبي يونان (يونس) مكانةً خاصةً في الأديان التوحيدية الثلاثة، فهو من أصحاب المعجزات، وقد تم الاستشهاد بقصته كدلالة على إعجاز خارق. كان الرجل، بحسب الأديان الثلاثة الكبرى، قد كابد الكثير، ومر بتجربة مريرة حين ألقى به بحارة في البحر ليلتقمه حوت، ويقذفه مع الأمواج بعد أربع ليالٍ على سواحل فلسطين[1]، ومن هناك يتلقى الأمر الإلهي بالسفر إلى نينوى الحاضرة الإمبراطورية الآشورية، حيث يجاهد لإقناع ملكها وأهلها بنبذ الشِّرك والأوثان واتباع عقيدته. ينجح يونان في مسعاه بالنهاية، وتعلن نينوى وأهلها التوبة. إلى هنا تنتهي القصة ولا نعلم ما حصل للرجل بعدها، هل توفاه الله في نينوى ودُفن في هذا الموضع أم أنه عاد إلى فلسطين ومات هناك بدلالة وجود مقام وقبر له كما سنرى لاحقاً.

---

(1) لا يزال بعض الناس يعتقدون بأن الحوت، وهو حيوان بحري، قد قَذف بالنبي يونس على شاطئ نهر دجلة قرب نينوى، بالرغم من غرابة الفكرة واستحالتها، وربما أيضاً صعوبة الاقتناع بفكرة وجود حيتان في البحر المتوسط في ذلك العصر، (الباحث).

النبي يونان وتل التوبة في العهد القديم

يتفق اليهود مع رأي الربّي والرحالة اليهودي الأندلسي بنيامين التطيلي القائل إنَّ أرض آشور تحتضن رفات الأنبياء (عوبديا، ويونان، وناحوم)، وقد ذكر في رحلته أن كنيسة عوبديا من بناء يونة بن أمتاي، وربما التبس عليه الأمر حينها، والعديد منهم يحترمون «العُرف السائد» بخصوص مدفن يونان أو يونس في ضريحه الكائن في نينوى[1].

وجاء بعد التطيلي، بحدود ثماني سنين، الربّي بتاحيا الراتسبوني، ووصف نينوى بأنها المدينة التي غضب عليها الرب، وأن حجارتها سوداء من آثار حرق نينوى، وسمّاها «الموصل العتيقة»[2].

وردت قصة يونان في سفرين من أسفار العهد القديم هما يونان وناحوم، الذي يذكره بأنه: «يونان بن أمتاي، من جت حافر، وأنه كان سابقًا للنبي عاموس».

---

(1) ـ غنيمة، يوسف رزق الله، **نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**، 1997، ص 58.

(2) دويكات، فؤاد عبد الرحيم، **رحلة الرّبي بتاحيا الرتسبوني (1175 ـ 1180 م)/(571 ـ 576 هـ)**، ترجمة وتحقيق، 2011.

سِفر يونان

هو خامس سفر من أسفار الأنبياء الصغار الاثني عشر ويقع في أربعة إصحاحات، وهو سفر تاريخي أكثر منه تشريعي أو عقائدي، لن ننسخ النص التوراتي في متن البحث ولكننا سنورد قراءة له:

يأمر رب العبرانيين يونان[1] بالذهاب إلى نينوى عاصمة الإمبراطورية الآشورية لينذرها بالخراب، لكن يونان حاول التملص من هذا الواجب، وفكّر مع نفسه قائلاً: «لو شاء هلاكهم لما طالبني بإنذارهم، وأخشى أن أمضي إليهم وأبلغهم هذا الإنذار فيتوبوا فلا يهلكهم. وأكون أنا كاذبًا فلا يعود يصدقني أحد فيما بعد، وقرر الفرار، وأُبحر على سفينة ذاهبة إلى تارشيش»[2]. وفجأة حدث «نوء»، أي موجة عظيمة، سببه عصيان يونان، فيرسل الرب ريحاً شديدةً إلى البحر، ويحدث على إثرها نوء عظيم حتى تكاد السفينة أن تنكسر، وكانت النتيجة أن ركاب السفينة، على اختلاف معتقداتهم، ارتعبوا وصار كل راكب يصرخ إلى ربه خوفاً من الغرق، ثم قال بعضهم لبعض هلموا نلقى قرعة لنعرف مَن السبب

---

(1) أغلب الظن أنَّ يونان قد عاصر الملك الآشوري أسرحدون (680 ـ 669 ق.م) وكان من المرحلين الفلسطينيين إلى بلاد آشور، (الرأي للآثاري العراقي د. بهنام أبو الصوف خلال لقاء الباحث به، وهو منشور في موقعه الرسمي www.abualsoof.com).

(2) لا يمكن توكيد دلالة اسم «تارشيش» إن كان يُقصد به مدينة أو قبيلة كان على صلة تجارية وثيقة بفلسطين وفينيقيا، وتقع إلى الغرب منهما، وكذلك ليس هناك يقين راسخ بصدد الموقع الجغرافي. ذُكرت تارشيش في عدد من أسفار العهد القديم، وتشير الدراسات التوراتية إلى إمكانية أن تكون جزيرة ساردينيا في البحر المتوسط (إيطاليا)، أو حتى قرطاج في (تونس)، والظن الأكثر رسوخاً حتى الأن كونها تقع قرب مدينة أشبيلية الأندلسية في جنوب إسبانيا أو ربما تحتها، ولا يمكن توكيد كل هذه المعلومات حتى الآن بسبب غياب الدليل، (الباحث).

وراء هذه البلية، فلما اقترعوا أصابت القرعة يونان، فقالوا له ما الذي فعلته حتى جاء علينا هذا بسببك؟ فقال لهم اطرحوني في البحر، فرموه في البحر لرفع البلية عنهم، فالتقمه الحوت لثلاثة أيام وثلاث ليال (يو1: 17)، ثم ألقاه إلى البر وحال وصوله الساحل الفلسطيني، تلقى أوامر من ربه بأن يصعد إلى نينوى لينذر أهلها بالدمار والخراب إذا لم يتوبوا إلى الله، فدخل يونان المدينة بعد مسيرة ثلاثة أيام! (يو3:3) ونادى قائلاً: بعد أربعين يوماً ستنقلب نينوى، فآمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم، ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم. بلغ الأمر ملك نينوى الآشوري آنذاك، فقام عن كرسيه، وخلع رداءه عنه، وتغطى بمسوح، وجلس على الرماد، ونودي في نينوى بأمر من الملك ألَّا تذوق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً، ولا ترعى ولا تشرب ماءً (يو 3: 7).

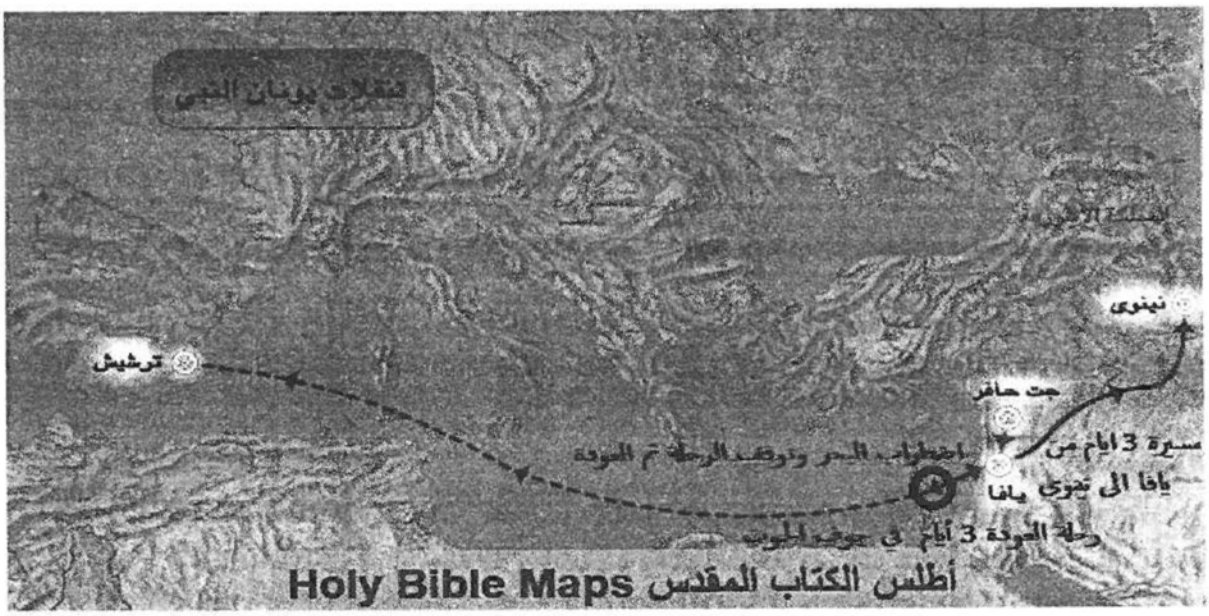

شكل (7): مخطط رحلة يونان المفترضة من يافا باتجاه تارشيش والعودة إلى فلسطين، ومنها إلى نينوى (أطلس الكتاب المقدس)

الغريب أن جميع أفراد الشعب الآشوري في نينوى، بحسب السردية التوراتية أعلاه، قد انقلبوا فجأةً وتحولوا من الوثنية إلى عبادة يهوه إله اليهود، حتى الملك وحكماءه وكهنته، الذين كانوا في مقدمة التائبين الصائمين (ولذا دُعي تل التوبة)، فاستجاب يهوه الرحيم لهم وندم على قراره إهلاكهم، وعفا عنهم (يو 3: 10)، هكذا فجأةً تهودت عاصمة الإمبراطورية الآشورية، في غياب أي دليل تاريخي أو وثيقة أو إشارة من أي نوع تذكر هذا الحدث الكبير الذي وقع في نينوى، فلا تذكر لنا المدونات العراقية القديمة ولا كتب المؤرخين اللاحقة أن الآشوريين اعتنقوا الدين اليهودي أو عبدوا الإله يهوه، أغلب الظن أنَّ يونان قد عاصر إما الملك الآشوري سين أخي ريبا (سنحاريب 704 ـ 681 ق. م) أو ابنه آشور أخي أيدينا (أسرحدون 680 ـ 669 ق. م) والذي خلّفه ابنه العاهل الشهير آشور بانِ أبل (آشور بانيبال 669 ـ 627 ق. م)، وهو المعروف بمكتبته العظيمة التي تجاوز عدد ألواحها الثلاثين ألفاً، وقد حرص على تضمين رفوفها أرشيف بلاد النهرين بمختلف عصورها التاريخية وحرص على إرسال كتبته الكهنة لجمع الرُّقم المسمارية من مختلف أرجاء الإمبراطورية الآشورية، ولم ترد لنا من مكتبته هذه أية إشارة، ولو بسيطة، عن رجل التقمه حوت، وقذف به على ساحل ليرتحل خلال ثلاثة أيام من الساحل الفلسطيني الى نينوى ليُبشر فيها، وينجح في تهويد حاكمها ورعيته[1].

(1) ما لدينا من شواهد على الأرض تشير الى إن المرحلين اليهود من فلسطين قد تم إسكانهم في قرى ومستوطنات في أرجاء بلاد آشور، ومنها موقع يُعرف بتل اليهودية قرب بلدة القوش الحالية شمال مدينة الموصل، وقد اختلط المرحلون بأهل البلاد، ومارسوا المهن المختلفة، ومنها الصيرفة، وتم منحهم حرياتهم الدينية بممارسة عباداتهم الخاصة. للمزيد، انظر: بهنام أبو الصوف، **اليهود في بلاد الرافدين**، منشور في موقعه الإلكتروني www.abualsoof.com.

سفر ناحوم[1]

عُرضت القصة[2] في هذا السفر بصورة رؤيا ملحمية بثلاثة إصحاحات، وبالنظر إلى محدودية المعلومات التي تتوافر لدينا عن ناحوم فإن أفضل ما يمكن أن نفعله هو تحديد الإطار الزمني لكتابة سفر ناحوم، يذكر ناحوم حدثين هامين ربما سيسهمان في تحديد هذه الفترة، في الأول يتحدث ناحوم عن سقوط مدينة طيبة المصرية على يد الآشوريين (عام 663 ق. م.) بصيغة الماضي (نا 3: 8 ـ 10)، فكان هذا حدث قد وقع بالفعل. وفي الثاني تحققت نبؤات ناحوم الأخرى عام 612 ق. م بسقوط الإمبراطورية الآشورية جراء التحالف الميدي ـ الكلدي.

لم يكتب ناحوم هذا السفر كتحذير أو «دعوة إلى التوبة» لشعب نينوى كما في سفر يونان. الذي أرسله الله إليهم قبل ذلك محذراً إياهم مما سيحل بهم لو استمرُّوا في غيِّهم. وكان الناس قد تابوا في ذلك الوقت كما مر بنا سابقاً، ولكنهم على ما يبدو قد عادوا إلى ممارسة ذات الشر كما في السابق، فأصبحوا أشد وحشية في غزواتهم (إذ علقوا جثث ضحاياهم على أعمدة، ووضعوا جلودهم على جدران خيامهم وغير ذلك من الشرور)، يخاطب ناحوم في رؤيته، شعب يهوذا بأن لا ييأسوا لأن الله

---

(1) هو ناحوم الألقوشي، ربما عاش في القرن السابع ق.م وعاصر سقوط نينوى ودُفِن في بلدة القوش قرب مدينة الموصل حيث ضريحه اليوم.

(2) النصوص التوراتية تبدي عدائيةً واضحةً تجاه العراق القديم وأهله، ويستشعر القارئ نوعاً من تشفي وكراهية وتزوير في الوقائع التاريخية. للمزيد يرجى مطالعة مقالات الدكتور بهنام أبو الصوف «**تحامل اليهود على الحضارة العراقية القديمة**» في الصحافة العراقية والمنشور على موقع العراق في التاريخ www.iraqinhistory.com.

قد أصدر حكمه وسرعان ما سيلاقي الآشوريون العقاب الذي يستحقونه. من مثل قوله على لسان الرب:

- «ويل لمدينة الدماء كلها ملآنة كذباً وخطفاً». (نا 3: 1)
- «ويكون كل من يراك يهرب منك ويقول: خربت نينوى، من يرثي لها؟ من أين أطلب لك معزين». (نا 3: 7)
- «نعست رعاتك يا ملك آشور. اضطجعت عظماؤك. تشتت شعبك على الجبال ولا من يجمع». (نا 3: 18)

النبي يونان وتل التوبة في العهد الجديد والمدونات السريانية

لنينوى والنبي يونان مكانة عظيمة في الديانة المسيحية، فقد ورد عن المسيح في إنجيل متّى (12: 40):

«لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإنسان فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ». وكذا في إنجيل لوقا (29، 30، 32) ***«وفيما كان الجموع مزدحمين، ابتدأ يقول: هذا الجيل شرير. يطلب آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي» ـ لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى، كذلك يكون ابن الإنسان أيضًا لهذا الجيل، «رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه، لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا»***.

يذكر الأب جان موريس فييه[1] في كتابه الموسوم «الآثار المسيحية في الموصل»[2] بعضاً من الأحداث التي ربما قد حصلت عقب سقوط مدينة

---

(1) جان موريس فييه (1914 ـ 1995)، مستشرق فرنسي من الدومينيكان. تخصص في تاريخ الكنائس المسيحية السريانية، وفي عام 1944 أسس كلية الموصل الدومينيكانية، مؤلفاته: أحوال النصارى في خلافة بني العباس، والكنيسة السريانية الشرقية، عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

(2) فييه، موريس جان (الأب)، **الآثار المسيحية في الموصل**، ترجمة نجيب قاقو، مراجعة وتنقيح وتصحيح الأب البير أبونا، 2000،ص 12 ـ 15.

نينوى عام 612 ق. م، ومنها أن سكانها، الذين كانوا قد هجروها حينها، عادوا، كما يبدو، فتجمع بعضهم فوق أنقاض القصور والمعابد المندثرة التي تقع تحت أنقاض تل النبي يونس الحالي في الساحل الشرقي من نهر دجلة، في حين تجمع بعضهم الآخر في ساحل دجلة الغربي فوق ما يُعرف اليوم بالقلعة الآشورية القديمة (تل القليعات)، والتي تسميها النصوص السريانية بـ«الحصن العبوري» (حصنا عبرايا)، أو «برج العبريين»، وتقع قرب قرية «نواردشير»[1]. ويعتقد بأن في الاسم إشارةً إلى الجماعة اليهودية المقيمة حول النبي يونس، أو تلك التي تسكن الموصل، مشيراً بذلك إلى ما ذهب إليه اولبرخت بقوله: «إن الموصل سكنها يهود أثرياء، وكنائسهم فيها أشبه بقصور منها بدور العبادة». أما المطران أدي شير فيفضل ترجمة «حصنا عبرايا» بـ«برج الضفة الأخرى»، إذ إنه يرى في الموصل الحصن الذي يحمي ضواحي نينوى في الجهة الأخرى من نهر دجلة، الذي كان يجري عند السور الغربي المحيط بمدينة نينوى. وهذه تمثل موضع مدينة الموصل[2] قبل تأسيسها.

---

(1) قرية نواردشير: قرية صغيرة أقامها الحاكم الساساني خسرو (كسرى) ابرويز بن هرمز قرب الحصن الغربي لمدينة نينوى، وبنى فيها دوراً لسكن الجالية الفارسية. وفي هذا الموقع ورد وجود معبد زرادشتي فوق التلة القديمة التي ضمت الآثار الآشورية تحتها، وهو المعروف بـ«معبد الرماد» لأنهم كانوا يقدسون النار، فتكون دائمة الاشتعال في المعبد. وكلما تراكم الرماد في النار، فإنهم كانوا يطرحونه خارج المعبد في مكان قريب منه. وهذا الرأي للمؤرخ سعيد الديوه جي (الديوه جي، سعيد، **جامع النبي يونس**، مجلة سومر، المجلد 10، 1954.) وقد رفضته جمهرة من علماء ومؤرخي الموصل، واعتبروا أنَّ هذا الرماد هو من بقايا حريق نينوى في 612 ق.م (الرأي الأخير لمراجع الكتاب الدكتور عامر عبد الله الجميلي).

(2) بحسب عالم الآثار الإنكليزي سيتن لويد، فإن اسم «موصل» مشتق في الأصل من مفردة «مسبيلا» المأخوذة عن الكلمة الآشورية «مشبالو» أو «ماشيل» Muspallu،

ذُكِرت مدينة الموصل أول مرة عام 570 م، حين شيد الراهب النسطوري إيشو عياب بن قسري في حصن عبرايا (هيكلاً كبيراً وديراً)، وأصبح الدير يُعرف بكنيسة مار أشعيا. وقد شيد الملك خسرو (كسرى) الثاني ابرويز دوراً كثيرةً حول الدير للسكنى فيها، وفي عام 627 م دحر الإمبراطور البيزنطي هرقل الملك الساساني خسرو (كسرى) الثاني ابرويز في معركة دارت قرب نينوى، فتحولت هذه القصبة من فارسية إلى رومانية، وخضعت لإدارة أنطيوخس حاكم تكريت، وأخيرا استسلمت المدينة عام 637 م إلى العرب المسلمين من دون قتال، ومنذئذ صارت تظهر عند الجغرافيين والمؤرخين باسمها الحالي الموصل (أي نقطة الاتصال)[1].

وتعني «الأرض السفلى او المنخفضة»، وذلك لأن نينوى عمها الخراب بعد سقوطها على يد الكلديين في العصر البابلي الحديث ورجع، بعدئذ، بقايا سكانها الأصليين، وأسسوا على الضفة المقابلة لنهر دجلة مدينة «مسبيلا» الجديدة، ولما جاء اليونانيون أبدلوا الشين بالسين فأصبحت «ماسيل» أو «موسيل»، وقد وردت في مدوناتهم عن معركة «كناسا» التي خسروها أمام الفرس عام 401 ق. م، ومرورهم بمدينتي (لاريسا و داسن). للمزيد يُنظر: (الجميلي، عامر عبد الله، **أهمية المصادر العبرية في تحديد بعض المدن البابلية، مجهولة الموقع** ـ جامعة الموصل)، وهي ذاتها مدينة النمرود (كلخُ)، والمدينة الأخرى «مسبيلا»، ثم تطور الاسم عبر الزمن ليصبح «موصل». بخصوص الاسم ودلالات الكلمة «مسبيلا» بالآشورية يُنظر:

Jermey Black, et al, **Aconcise Dictionary of Akkadian CDA**, Vol 5, (2000).

ويذكر عالم الآثار الإنكليزي ماكس ملوان في مذكراته: لعل الموصل هي مسبيلا وهو الاسم الذي أطلقه الإغريق عليها. يُنظر: فيبه، موريس جان (الأب)، **الآثار المسيحية في الموصل**، ترجمة نجيب قاقو، مراجعة وتنقيح وتصحيح الأب البير أبونا، 2000، ص 12 ـ 15.

(1) الحمداني، عبد الأمير، والأسود، حكمت بشير، **خريطة عن التراث والآثار المسيحية في العراق**، فصل من كتاب **«المسيحيون في العراق، التاريخ الشامل والتحديات الراهنة»** تحرير سعد سلوم، 2014. ص 65، 68.

في القرن الرابع الميلادي تقريباً، وإثر الانتشار المبكر للديانة المسيحية في مدينة نينوى، تم إنشاء دير باسم «دير مار يونان»[1] فوق معبد النار الساساني، الذي كان قد أقيم على أطلال قصر الملك الآشوري آشور أخي إدِينا (أسرحدون)، ومنذ نحو عام 550 م أصبح الدير مركزًا لكرسي أسقف نينوى (المشهور بإسحاق)، ثم صار مسكنًا للجاثليق[2] الشرقي (نيشوع) أو (سِبر يشوع ويعني سِفر يسوع) الأول الملقب بالأعرج. وقد ذكر عمرو بن متى[3] أن الجاثليق سبر يشوع المتوفى سنة 700 م قد أقام في الدير، ولما مات دُفِن بجانبه، واستمرت الأسقفية في هذا الموضع حتى أبطلها يشوع برنون أسقف نينوى سنة 820 م[4].

وبعد مرور 650 سنة من وفاة البطريرك نيشوع (سِبر يشوع) قدم مسؤولون من كنيسة المشرق من جبال شمال الموصل، وفتحوا القبر وكشفوا تابوت الجاثليق **سنة 1350 م**، بعد ورود روايات عن أشخاص مفادها أن تابوته مفتوح، فلاحظ ممثلو الكنيسة أن جسده محفوظ كأنه

---

(1) أبونا، البير، **ديارات العراق**، 2006، ص97 ـ 103.

(2) الجاثليق كلمة أرمينية من أصل يوناني هو Katholicos كاثوليكوس، وتفيد معاجم اللغة أن الكلمة تعني «متقدم الأساقفة» أي المشرف على أكثر من أسقفية محلية، ويكون تابعاً للبطريرك الذي هو رئيس جميع الأكليروس. و تطلق على كبار الأساقفة الذين يمنعهم طول المسافات بين مقرهم ومقر البطريرك الذي يتبعونه من الاتصال به في كل أمر، فصار لهم التصرف شبه المطلق في تدبير شؤون رعيتهم. وكان هناك كثيرون من «الجثالقة» في العراق تحديداً. يُنظر: المقاري، أثناسيوس، وبالنسبة للتسلسل الهرمي يأتي أولاً البطريرك، ثم الجاثليق، ثم المطران، لكن في كنيسةالمشرق (العراق) كانت كلمة جاثليق معادلة لكلمة بطريرك. معجم المصطلحات الكنسية الجزء الأول، 2012

(3) بن متى، عمرو، **المجدل للاستبصار والجدل**، 2012، ص68.

(4) للمزيد يُنظر: حداد، بنيامين، **موسوعة الديارات**، المجلد 9، دير مار يونان، 2013.

نائم، فجاء أهل الموصل لرؤية البطريرك والتبرك بجسده، وعدّوه قديساً (ابن العبري ووليم رايت).

إذن «الصندوق الذي من خشب الصاج والمغطى بقماش أخضر اللون، والذي عُدّ تابوتاً للنبي يونس، إنما يحوي جثمان الجاثليق - سبر يشوع الأول»[1].

(1) حوار أجراه الباحث مع الآثاري العراقي الأستاذ حكمت بشير الأسود.

النبي يونس وتل التوبة في القرآن الكريم والمصادر الإسلامية

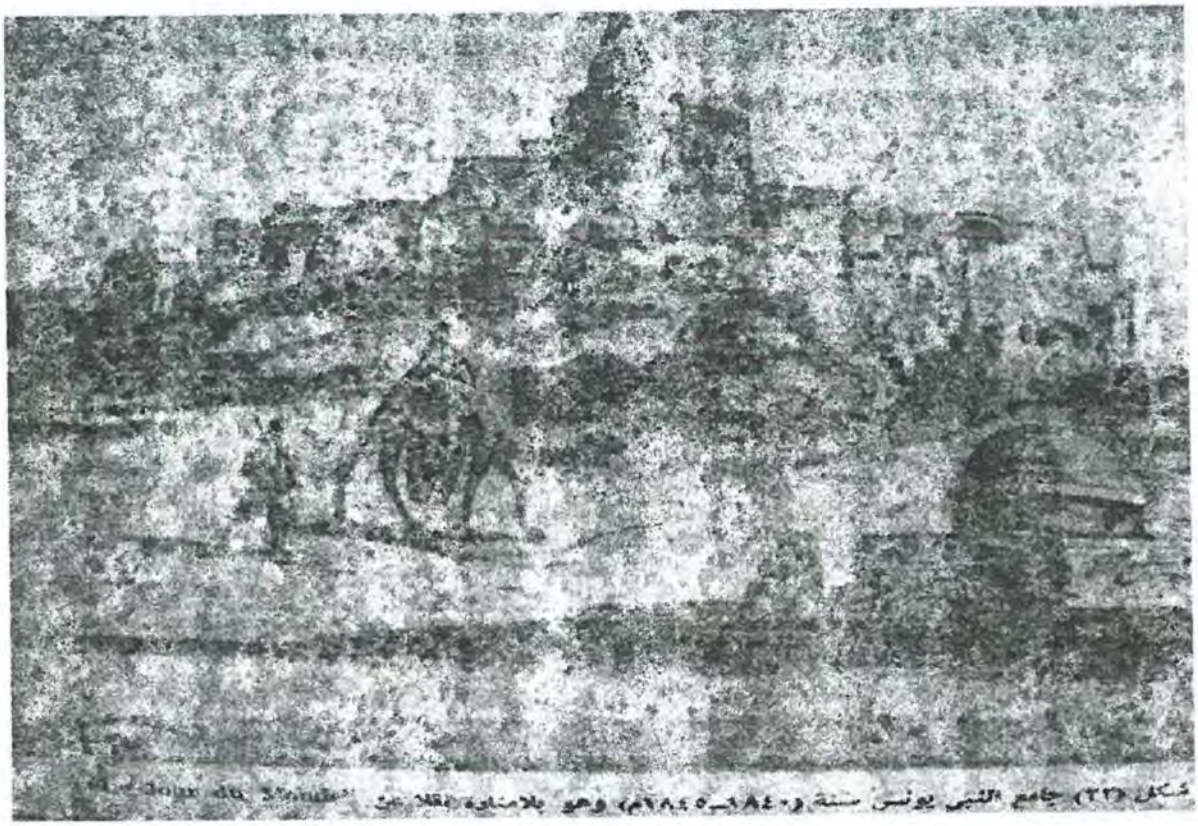

شكل (8): رسمة لتل النبي يونس من رحلة فلاندان 1840 ـ 1845

وصل العرب المسلمون إلى نينوى عام 637 م زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب. وكان موضع القبر معروفاً قبل الإسلام، لكن لم يتم العثور على نص صريح يذكر عائديته، وقد تم نسخ القصة اليهودية للنبي يونان في العقيدة الإسلامية بتحوير في الاسم (فأصبح في عربية القرآن يونس

بن مَتَّى)[1] الملقب بصاحب الحوت، أو ذي النون، ونون تعني سمكة بالمُشترك السامي، وفي العربية تعني «حوت».

أرسل الله يونس إلى أهل نينوى يدعوهم لنبذ الأصنام وعبادته، ويحذرهم عاقبة ما هم عليه من الضلال، فلم يستجيبوا له، فأنذرهم بالعذاب، ولما شاهدوا ما أنذرهم به ندموا على كفرهم، ورجعوا إلى النبي يونس مظهرين التوبة، فأمرهم بالتطهر، والتضرع إلى الله عز وجل لعله يقبل توبتهم ويكشف عنهم العذاب[2].

وكان وقوفهم هذا فوق التل الذي سمي فيما بعد «تل التوبة» كما أنهم تطهروا قبل هذا بالعين التي سميت فيما بعد «عين يونس» أو «عين النبي يونس»، وصار لتل التوبة حرمة عند المسلمين[3].

وقد ورد ذكر قصة النبي يونس في القرآن الكريم ست مرات، ذُكر في أربع سور باسمه يونس (النساء: 163، يونس: 98، الصافات: 139 ـ 148، الأنعام: 112 ـ 113)، ومرةً بلقبه «ذو النون» (الأنبياء: 87 ـ 88)، وأخرى بوصفه صاحب الحوت (القلم: 48).

وثمة رواية في سيرة ابن هشام[4] تؤكد أن النبي محمد (ص) ذكر

---

(1) وذكر ابن الأثير أن «مَتَّى» اسم والدته، وأن الأنبياء لم ينسب أحد منهم لأمه إلا يونس وعيسى ابن مريم، انظر كتابه: «ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم، **الكامل في التاريخ**، 2011»، ج 1، ص329 (ذِكر يونس بن متّى، ومما كان من الأحداث أيام ملوك الطوائف).

(2) يُنظر: «الثعلبي، ابن إسحاق إبراهيم النيسابوري، **قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس**، 2009، ص 310 ـ 314.

(3) الديوه جي، سعيد، **جوامع الموصل في مختلف العصور**، مجلة سومر، المجلد العاشر، 1963، ص 250 ـ 266.

(4) هو كتاب لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري (المتوفى سنة

يونس، وقال لعداس خادمه[1] النصراني إنَّ «يونس أخي كان نبياً وأنا نبي». وقد اختلف الفقهاء والمفسرون في أمر مدة مكوث يونس في جوف الحوت[2].

حافظ الفاتحون لأرض العراق من المسلمين على مواثيقهم مع سكان البلد من المسيحيين واليهود كأهل كتاب وذمة، لذا لم يتغير شيء في وظيفة هذا الموضع كدير حمل لقرون أسم (مار يونان بن أمتاي) وقد أشتهر بمدرسته العامرة لتعليم اللغة الآرامية في العصر العباسي، وبعد انتقال مقر بطرياركية كنيسة المشرق إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية كان الدير عامرًا بالرهبان خلال مدة رئاسة البطريرك طيمثاوس الأول لكنيسة المشرق 779ـ 823م، ثم قام البطريرك سركيس الأول 860 ـ 872 م بتجديده بعد

---

218 هـ)، وقد أجرى ابن هشام على سيرة ابن إسحاق بعض التعديلات إضافةً وحذفًا، حيث قام بتهذيبها، وحذف كثيرًا من الإسرائيليات، والأشعار المنتحلة حتى عرفت السيرة باسم ابن هشام، واهتم بها الباحثون، وأُلفت عليها العديد من الشروحات والمختصرات. يُنظر: السهيلي، أبو القاسم. **الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام**، المكتبة العصرية، بيروت، 2001.

(1) أن أصل الاسم هو «أودو»، وأضيفت إليه اللاحقة «س» في عربية القرآن، كما في «يونه ـ يونس»، و«إيلياء ـ إلياس»، وعَدّاس هو غلام عتبة وشيبة ابنيّ ربيعة في الطاف، وهو ليس الخادم النصراني للنبي محمد (ص)، (المُراجع).

(2) ورد عن ابن كثير في تفسيره عن مدة لبثه في بطن الحوت عن سعيد بن أبي الحسن البصري قال: مكث في بطن الحوت أربعين يوماً. رواه ابن جرير. وقال البغوي في تفسيره: فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة. وقال عطاء: سبعة أيام. وقيل: ثلاثة أيام. وقال أبو السعود: قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان فيها في بطنه، وقيل بعد ثلاثة أيام. وقال الألوسي: قذفه إلى الساحل بعد ساعات. وقال الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية. وعن قتادة أنه بقي في بطنه ثلاثة أيام وهو الذي زعمته اليهود. وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه بقي سبعة أيام. يُنظر: ، أبو الفداء القرشي الدمشقي، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير ـ ط. طيبة)**، القاهرة،1999.

موت الخليفة العباسي المتوكل المعروف بتعنيفه للمسيحيين. وعلى الرغم من دخول الموصل حرباً أهلية بين قادة عشائر مختلفة تمكن البطريرك من تجديد الكنيسة والدير. ومن الطريف أن أحد المصادر يذكر وجود جماعة يهودية في المنطقة تسيء إلى الدير، حيث قام أحد اليهود بتدنيسه عام 932 م، الأمر الذي جعل حاكم الموصل «ابن حمدان» يأمر بمعاقبة اليهودي على فعلته[1].

تفيد المصادر أن آخر ذكر للدير كان عام 932 م، فقد اندثر بعدها لأن الكثيرين من المسيحيين تركوا الموصل وهاجروا. ويذكر المطران سليمان الصائغ أنه بقي في الدير رهبان إلى جانب الجامع حتى نهاية القرن الثاني عشر، ما يعني وجود تفاهم بين الكنيسة وحكومة الموصل المحلية آنذاك، فقد كانت الموصل في نهاية القرن الحادي عشر (1096 م) تحت سيطرة السلاجقة، وكانت مدينةً مهجورةً، ورغم المعارك بين الزنكيين وصلاح الدين الأيوبي صمد الرهبان في الدير إلى القرن الثالث عشر، حيث يذكره الحموي كدير فقط. ولم يكن هناك مسجد إلى زمن الزنكيين[2].

وتذكر المصادر الإسلامية، التي تؤرخ للدير، أن أقدم نص تم العثور عليه يشير إلى وجود محل يأوي الزهاد والنساك من المسلمين هو ما أورده أبي زكريا الأزدي في مخطوطته «تاريخ الموصل» عن حوادث سنة 183 هـ ـ 799 م، قال فيه: «وفيها مات حمزة بن السريّ الخولاني» ـ وكان زاهداً قد احتفر في سور نينوى بيتاً يأوي إليه، والبيت لا يزال الناس تأتيه في الوقت ـ من القرن الرابع للهجرة.!

---

(1) حوار للباحث مع الآثاري العراقي الأستاذ حكمت بشير الأسود.

(2) المصدر نفسه.

ويوجد ذكر لعين النبي يونس (المعروفة بالدملماجة) عند المسعودي في كلامه عن نينوى سنة 332 هـ ـ 948 م، فقال «***ونينوى في وقتنا هذا (سنة 332 هـ) مدينة خراب، فيها قرى ومزارع لأهلها، وإليهم أُرسل النبي يونس بن متّى، وآثار الصور فيها من أصنام في حجارة مكتوبة على وجوهها، وظاهر المدينة تل عليه مسجد، وهناك عين تعرف بعين النبي يونس***»[1].

وأشار الشابشتي[2] في مؤلفه «الديارات» حول هذا الدير:

«***يُنسب إلى يونس بن متّى النبي، وهو في الجانب الشرقي من الموصل، بينه ودجلة فرسخان وأقل، وموضعه يعرف بنينوى. ونينوى هي مدينة يونس (ع)، وأرضه كلها نور وشقائق، وله في أيام الربيع ظاهر حسن مونق، وهو مقصود، وتحت الدير عين تُعرف بعين يونس، فالناس يقصدون هذا الموضع لأسباب، منها التنزه واللعب، ومنها التبرك بموضعه، ومنها الاغتسال من العين التي تحته***»[3].

---

(1) يُنظر: الديوه جي، سعيد، **مسجد عين يونس**، مجلة سومر، المجلد 22، 1966.
من الجدير بالذكر أن إشارة المسعودي لحجارة مكتوبة هي أشارة ذكية منه باعتبارها كتابة، بينما اعتقد الرحالة والمستشرقين والمنقبين الأوروبيين الأوائل في الربع الاول من القرن التاسع عشر انها زخرفة وليست كتابة. (المراجع)

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد، كان كاتباً وأديباً، تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر، فولاه أمر خزانة كتبه، وله مصنفات، منها: كتاب «الديارات»، ذكر فيه كل دير بالعراق والموصل والشام والجزيرة والديار المصرية، وجميع الأشعار المقولة في كل دير، وما جرى فيه. وله مكاتبات ومراسلات مضمنة شعراً وحكماً، وغير ذلك من المصنفات في الأدب. توفي سنة 388 هـ.، للمزيد، يُنظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام**، 2002.

(3) عواد، كوركيس، وسركيس، يعقوب، **أصول أسماء مدن وقرى عراقية**، 2009، ص 58 ـ 96 ـ 126 ـ 123.

سقطت الموصل على يد الجلائريين عام 1364م، وفي عام 1365م، جرى تجديد مشهد النبي يونس من قبل جلال الدين إبراهيم الخُتَني، كما يتضح من كتابة حول المحراب الذي لم يزل موجوداً في مصلى الجامع المذكور[1].

ويظهر أيضًا أن جلال الدين إبراهيم الخُتَني قد عثر، عندما كان يقوم بتجديد المشهد، على قبر النبي يونس[2]، فأظهره، وبنى فوقه قبةً، ووضع عليه صندوقاً، ومن ذلك الوقت صار المشهد يُعرف بـ«جامع النبي يونس». ونجد هذا في حجة الوقف التي كتبها جلال الدين، بعد أن انتهى من عمارة المشهد، وجعله جامعاً تقام به الجمع[3]، وسمي ـ«جامع النبي يونس». أما ما يردده البعض من أن تيمورلنك هو من أظهر القبر، وبنى عليه القبة، فهو بعيد عن الحقيقة، لأن الخُتَني عمّر الجامع في سنة 1365 م، بينما تيمورلنك كان قد غزا الموصل سنة 796 هـ/ 1393م. والجامع والضريح موجودان.

ما ينبغي التوقف عنده هنا هو حقيقة أن الجامع الحالي لا يُرى متجهاً نحو مكة المكرمة، بل نحو الشرق كما كان شأن كل كنيسة قديمة، حتى أن حجر التجديد الذي وضعه إبراهيم الخُتَني سنة 1365م بمنزلة المحراب تحتَّم وضعه عرضياً بالنسبة إلى الجدار الذي هو في صدر الجامع، وذلك لتصحيح اتجاه القبلة، كما أن المدخل الرئيس هو مقابل جدار المذبح، شأن باقي الكنائس[4].

---

(1) الديوه جي، سعيد: جامع النبي يونس، مجلة سومر، المجلد 10، 1954.

(2) ولم ترد أي إشارة قبل هذا التاريخ إلى عائدية القبر ليونان أو يونس في أي من المصادر التاريخية او الدينية، (الباحث).

(3) ومن الجدير بالذكر أن سكان الموصل كانوا ولا يزالون إلى عهد قريب يقيمون صلاة الاستسقاء فوق تل التوبة، (الباحث).

(4) الحمداني، عبد الأمير، والأسود، حكمت بشير، **خريطة عن التراث والآثار المسيحية**

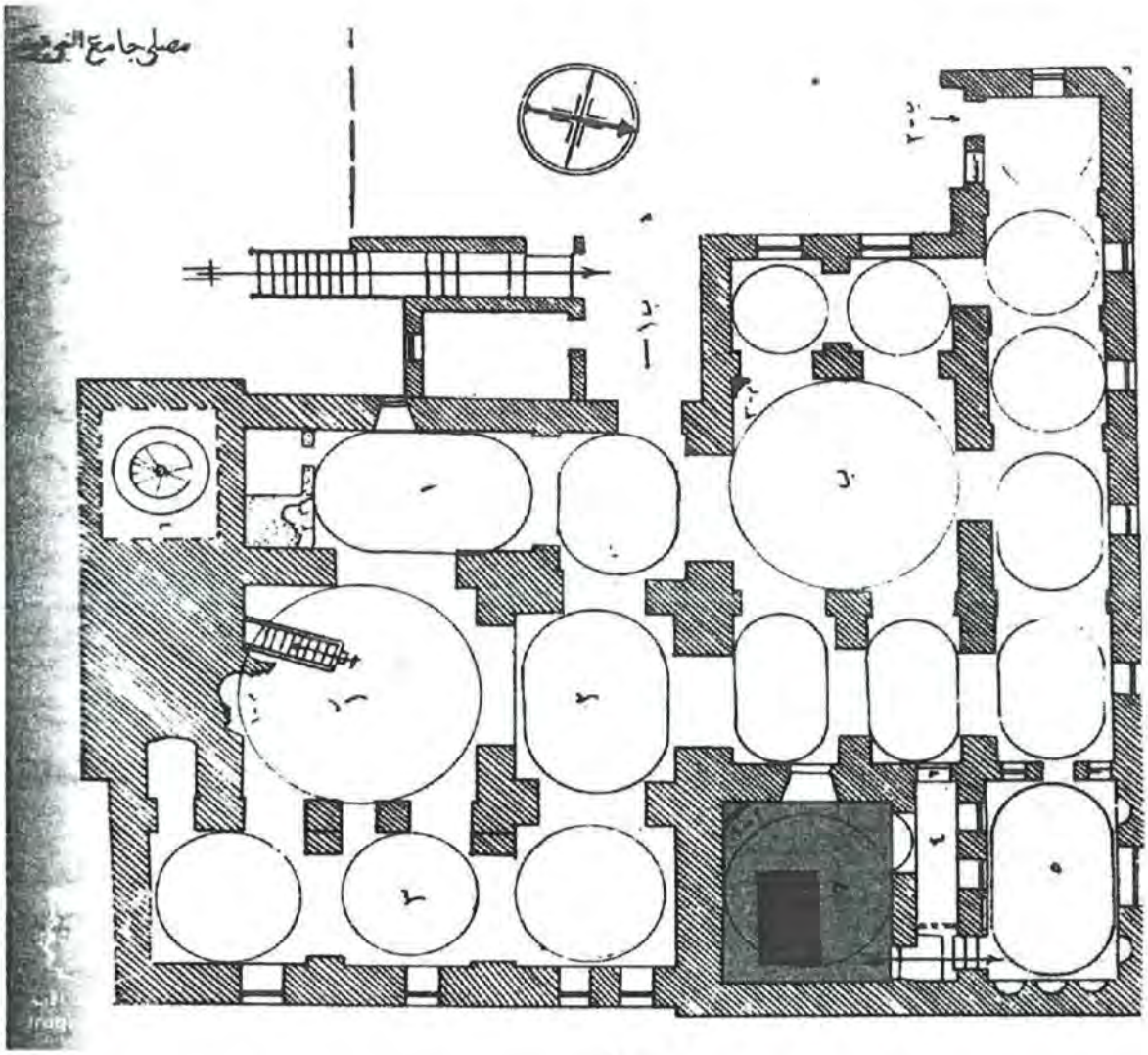

شكل (9) مخطط جامع النبي يونس

دمر المغول كل ما في طريقهم إلى الموصل، لكنهم عند وصولهم إليها لم يقوموا بنهبها، وحسب كتاب المجدل أن الموصل دفعت ضريبة الحروب وتحولت إلى قرية، وبسبب الحرب المغولية فقد حصل تناقص في الوجود المسيحي في بلاد النهرين. وهذا يتفق إلى حد كبير مع الرواية الكنسية التي أوردت سابقاً اختفاء أي ذكر للدير وأهله منذ 932 م.

في العراق، فصل من كتاب «المسيحيون في العراق، التاريخ الشامل والتحديات الراهنة» تحرير سعد سلوم، 2014. ص 65 ـ 68.

وذكر المؤرخ المسعودي (896 ـ 957م) في كتابه «مروج الذهب» أن *«نينوى في وقتنا هذا (يقصد سنة 332 هجرية) مدينة خربة فيها قرى ومزارع لأهلها، وإلى أهلها أُرسل يونس بن متّى، آثار الصور فيها من أصنام في حجارة مكتوبة على وجوهها، وظاهر المدينة تل عليه مسجد، وهناك عين ماء تعرف عين النبي يونس عليه السلام، ويأوي إلى هذا المسجد النساك والعباد والزهاد». وينبغي أن لا يغيب عنا أن المسعودي يقصد بالأصنام تماثيل الثور المجنح، ومنحوتات كانت موجودةً في قصر الملك الآشوري سنحاريب. ذكر البلداني البشاري المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم» أن مسجد النبي يونس وآثاره عند نينوى القديمة على موقع تل التوبة في القرن الرابع للهجرة، وأن ابنة ناصر الدولة الحمداني السيدة جميلة عمّرت الجامع، وأوقفت عليه أوقافًا جليلة»*[1].

وسرعان ما توسع الجامع وصار يضم إلى جانبه دورا وسقايات ومطاهر وأماكن للوضوء وصار به محل مقدس وهو المحل الذي وقف به النبي يونس وينسدل على هذا المكان ستر وينغلق عليه باب مرصع وأخذ الناس يزورونه ويتمسكون به ويقولون إنَّ سبع زيارات له يعادلن حجة.

وصف ياقوت الحموي (1179 ـ 1229م) هذا التل في كتابه «معجم البلدان» بقوله:

«موضع مقابل مدينة الموصل في شرقي دجلة، متصل بنينوى، وهو تل فيه مشهد يُزار ويتفرج فيه أهل الموصل كل ليلة جمعة، قيل إنه سمي تل توبة، لأنه لما نزل بأهل نينوى العذاب، وهم قوم يونس النبي عليه السلام،

---

(1) مدونة د. إبراهيم العلاف.

اجتمعوا بذلك التل وأظهروا التوبة وسألوا الله العفو، فتاب عليهم وكشف عنهم العذاب، وكان عليه هيكل للأصنام فهدموه وكسروا صنمهم، وبالقرب منه مشهد يُزار قيل كان به عجل يعبدونه، فلما رأوا إشارات العذاب الذي أنذرهم به يونس عليه السلام، أحرقوا العجل وأخلصوا التوبة، وهناك الآن مشهد مبني محكم بناؤه، بناه أحد المماليك من سلاطين آل سلجوق، وكان من أمراء الموصل قبل البرسقي، وتنذر له النذور الكثيرة، وفي زواياه الأربع أربع شمعات تحزر كل واحدة بخمسمائة رطل مكتوب عليها اسم الذي عملها وأهداها إلى الموضع»[1].

ووردت إشارات في كتب البلدانيين الأخرى (في الكامل لابن الأثير، آثار البلاد للقزويني، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي).

وممن تطهر بالعين، وصلى في مسجد عين النبي يونس، الرحالة ابن جُبير سنة (580 هـ ـ 1184م)، حيث مكث بها أربعة أيام، وزار نينوى خلالها، ووصفّها وتكلم عن الرباط الذي كان فوق تل توبة، وبات فيه ليلة الجمعة (26 صفر)، وفي صباح يوم الجمعة نزل إلى عين يونس في ظاهر مدينة نينوى وتطهر بها، وتشرب من مائها، وصلى بالمسجد المتصل بها، وقال عند كلامه عن الموصل:

«تل التوبة وهو التل الذي وقف به يونس (ع) بقومه، ودعا ودعوا، حتى كشف الله عنهم العذاب، وبمقربة منه على قدر الميل أيضاً العين المباركة المنسوبة إليه، ويقال إنه أمر قومه بالتطهر فيها، وإظهار التوبة/ثم صعدوا

---

(1) عواد، كوركيس، وسركيس، يعقوب، **أصول أسماء مدن وقرى عراقية**، 2009. ص 58 ـ 77 ـ 96 ـ 126 ـ 123.

على التل داعين، وفي هذا التل بناء عظيم هو رباط يشمل على بيوت كثيرة ومقاصير ومطاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد [1]، ثم صبحنا العين المباركة ـ عين يونس ـ وشربنا من مائها، وتطهرنا فيها وصلينا في المسجد المتصل بها».

وزار ابن بطوطة الموصل في القرن الثامن للهجرة (1346م)، وذكر عين يونس، لكنه لم يذكر المسجد المتصل بها[2]، ربما لأن زيارته حدثت بعد انقضاض المغول على الموصل في 1244 م، وفتكهم بالقرى وأهلها، وهو ما يدعونا إلى الاستنتاج أنهم تركوها دماراً، وأصاب المسجد حصته من الدمار فلم يبق له أثر، ولذا لم يقف ابن بطوطة على ذكر مسجد عين يونس.

حصل عام 1365 م تغيير مهم في الموضع، فقد قام الوزير جلال الدين إبراهيم الخُتِني بأعمال ترميم للناؤوس، وجرى إظهار قبر النبي يونس ووضع عليه صندوقاً، وبنى فوقه قبةً، ومن ذلك الوقت صار المشهد يُعرف رسمياً بـ«جامع النبي يونس»[3]، وسُلّم الوقف بعد ذلك إلى «المتولي» ـ الهاشمي السيد نصير الدين بن السيد محمد، ثم بعد ذلك بسنوات طويلة إلى «الناظر»، في العهد الجليلي 1726 ـ 1834م، السيد فتح الله بن السيد

---

(1) وهو الذي صار جامع النبي يونس فيما بعد، الديوه جي، سعيد، **مسجد عين يونس**، مجلة سومر، المجلد 22، 1966.

(2) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، **رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، 2014.

(3) لا بد من الإشارة إلى التسميات التي لاحقت الموضع، من مسجد يونس إلى مشهد يونس، ثم صار جامع النبي يونس على يد الوزير إبراهيم الخُتَني كما ورد في النص. وهذا غير جامع عين يونس (الدملماجة) الذي يرد ذكره بهذا الاسم. يُنظر: الديوه جي، سعيد، **مسجد عين يونس**، مجلة سومر، المجلد 22، 1966، ص 77.

محمد القادري، وهو نفسه صاحب الأرجوزة الرائعة التي تروي قصة حصار الموصل والملحمة البطولية، وصمود أهل الموصل بوجه نادرشاه في حصاره للمدينة سنة 1743م، والذي باء بالفشل الذريع، وانسحاب جيشه بعد 42 يوماً.

إذن، نستطيع الاستدلال، مما ورد في الروايات أعلاه، أن أول تسمية رسمية لهذا الموضع بقبر النبي يونس قد أطلقت في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، حين أمر الوزير الخُتَني بإقامة قبة فوق القبر وعمّر المسجد فوقه، وشهد الجامع عدة تعميرات وتجديدات آخرها في الثمانينات من القرن الماضي، فأصبح مكوناً من بناءين يفصل بينهما طريق عرضه ستة أمتار، وهما بيت الوضوء والمصلى والحضرة، كما أُلحق بالجامع داران للخطيب والمقيم، وبُنيت منارته سنة (1341 هـ ـ 1922م) بحجر الحلان الأسمر، وهي تشبه المنائر التركية في طراز بنائها، ومحراب الجامع غني بالكتابات، وهو من المحاريب المتميزة الجميلة، وثمة كتابة بعد البسملة «الله نور السموات والأرض... يهدي الله بنوره من يشاء». وكما توجد في الجامع، أيضاً، دار لتدريس القرآن الكريم وعلومه والقراءات[1].

(1) مدونة د. إبراهيم العلاف.

تل التوبة (النبي يونس) في مدونات الرحالة الأجانب

كانت بلاد النهرين على الدوام محط أنظار الرحالة والمستشرقين، المهتمين منهم بالتاريخ التوراتي على وجه الخصوص، بسبب رغبتهم في التحقق مما ورد في المدونات القديمة عن التاريخ الأسطوري لمدن وُصفت بالعظيمة في حواضر العصور الحضارية لآشور وبابل. وسنحاول في الفقرة التالية التركيز على ما ذكره أولئك الرحالة عن تل التوبة (النبي يونس) في مشاهداتهم.

رحلة الأندلسي بنيامين التطيلي 1165 ـ 1173 م

ربما كان الرّبَي اليهودي بنيامين التطيلي (من طليطلة أو توليدو الحالية في إسبانيا) من أقدم من دوّن عن التل، فقد قام برحلة شهيرة ما بين 1165 ـ 1173م، وبلغ الصين، مرورًا بالدولة العباسية، وأقام في بغداد في عهد الخليفتين المقتفي لأمر الله، والمستنجد بالله، وعني بدراسة أحوال اليهود في مختلف الأقاليم التي مر بها وعلاقتها بالكتاب المقدس. دُوِّنَ كتابه «رحلة بنيامين التطيلي» بالعبرية في مطبعة «سونسينو» في القسطنطينية سنة 1543م، وقد تُرجم إلى اللاتينية والأوربية، وصدر بالعربية عن المطبعة الشرقية في بغداد عام 1945م. وقد وردت شهادته أدناه حول الكنيسة في تل التوبة في الموصل:

«إنها آشور العظيمة، ويعيش فيها حوالي سبعة آلاف يهودي، وتقع على نهر دجلة، ويوصلها بنينوى جسر متهدم. ونينوى متهدمة، لكن بين آثارها قرى وجماعات، ويمكن تحديد سعة نينوى بأسوارها، حوالي أربعين ميلاً فارسياً، حتى مدينة أربيل، وفي بلدة آشور يوجد كنيس عوباديا الذي بناه يونان (يونس)».

ويبدو أن الرّبَي بنيامين قد التبس عليه أمر تحديد الموصل بمدينة آشور القديمة! وكذا موضوع الكنيسة لأن الدير كان في زمن رحلته قد خُرّب، ولم يُسمع له ذكر، إذ إنَّ آخر ذكر صريح له كان سنة 320 هـ ـ 932 م، وبعدها صمتت المصادر عن أمره[1].

رحلة الفرنسي تافيرنيه[2] 1644 م

زار الرحالة الفرنسي تافيرنيه الموصل، وأورد النص الآتي في ما يخص تل النبي يونس:

«لا يوجد شيء يستحق المشاهدة في الموصل، لكن دعنا نعبر دجلة على جسر من القوارب لنشاهد البقايا الحزينة لمدينة كانت قد أثارت ضجةً في العالم، ومع ذلك فيكاد لا يوجد الآن أي مظهر من مظاهر جلالها القديم، كانت نينوى قد شيدت على الضفة اليسرى من نهر دجلة على

---

(1) التطيلي، بنيامين، **رحلة بنيامين التطيلي**، ترجمة وتحقيق عزرا حداد، 2002، ص 288.

(2) جان بابتيست تافرينيه (1605 ـ 1689 م)، رحالة فرنسي، قام بست رحلات في آسيا، وصل إلى جاوة وجزر الهند الشرقية، وجمع ثروة من الاتجار في الأحجار الكريمة، ومنحه لويس الرابع عشر (1669م) لقب بارون. وقد مات في رحلته السابعة، وكانت إلى المشرق عن طريق روسيا. يُنظر: تافرنييه، جان بابتيست، **رحلة الفرنسي تافرنييه إلى العراق في القرن السابع عشر**، تعريب كوركيس عواد، وبشير فرنسيس، 2006.

الجانب الآشوري، وعلى بعد نصف فرسخ من نهر دجلة يقوم تل صغير محاط ببيوت وفي أعلاه شُيّد جامع، ويقول سكان البلاد إنه كان (المكان الذي دُفن فيه يونان)، وهذا المسجد جليل المكانة، ولا يُباح لنصراني أن يدخله إلا بوجه خصوصي، فضلا عن دفع نقود في سبيل ذلك، وقد تمكنت من الدخول ووجدت وسط الجامع ضريحاً مغطى بسجادة فارسية منسوجة من الحرير والفضة، وفي كل ركن من الضريح شمعدان نحاسي كبير، ووجدنا جمعاً كبيراً من المسلمين خارج المسجد، وفي داخله رأينا درويشين يتلوان القرآن»[1].

رحلة الدنماركي كارستن نيبور[2] 1766م

لم يكن لدى نيبور أدنى شك في أن آثار نينوى تقع قرب الموصل، فهو يذكر قرية تسمى نينوى على تل كبير وجامع كان النبي يونان يرقد مدفونا فيه.

رحلة الإنكليزي كلاوديوس ريج 1820[3] م

عُين كلاوديوس ريج عام 1808م مقيماً في بغداد، وارتحل إلى بابل

---

(1). تافرنييه، جان باتيسيت : **رحلة الفرنسي تافرنييه إلى العراق في القرن السابع عشر**، تعريب كوركيس عواد، وبشير فرنسيس، 2006.

(2) مستكشف ورياضي وعالم خرائط ألماني عمل في خدمة الدولة الدنماركية (1733 ـ 1815 م)، قام برحلته الشهيرة ما بين (1761 ـ 1770م) ودون فيها مشاهداته عن مصر، شبه الجزيرة العربية، اليمن، الهند، عُمان، العراق، تركيا، قبرص، الدنمارك. يُنظر: رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، تحقيق مصطفى جواد، وسالم الآلوسي، وسعاد العمري، 2012.

(3) كلاوديوس ريج: رحالة ومغامر إنكليزي. شغل منصب المقيم البريطاني في العراق خلال الفترة (1808 ـ 1821 م)، وكان مندوباً لشركة الهند الشرقية في بغداد. سافر إلى شمال العراق مع المنشي البغدادي سنة 1820م، وزار قلعة الشرقاط عام 1821 م، وسجل تفاصيل رحلته للمشرق وقد نشرتها زوجته بعد وفاته عام 1836 م.

أولاً للبحث عن الآثار، ونشر نتائج حفرياته عام 1813م، وفي 1820م اتجه شمالاً نحو أربيل والموصل ودوّن الشهادة الآتية عن مدينة نينوى بعد أن قام بمسح موقعها بمساعدة بحّار يوناني، وقدَّم مخططًا قيِّماً للموقع.

«ويسمى التل الجنوبي من التلّين الرئيسيين في نينوى بنبي يونس (وهي الصيغة العربية للنبي يونان)، ويعد من قبل المسلمين المحليين ذا قدسية خاصة بسبب الجامع الذي يعلوه ولعلاقته بيونان إلى درجة أنه كان مستحيلاً، وإلى الآن، إجراء تنقيبات رئيسية فيه. وعلى أية حال فقد ظهرت بعض البقايا الآشورية في أثناء عمليات بناء وترميم البيوت، حيث يضم النبي يونس حوالي ثلاثمائة بيت، وقد شيّد على تل اصطناعي قديم لم يغطّ كله، وأن قِدمه مؤكد من البقايا التي وجدت في الحفر فيه عميقاً، عندما يُعثر على كسر من آجر، أو آجر كامل أو قطع من الرخام مغطاة بالكتابات والحروف المسمارية. وقد شاهدنا اليوم بعض الكسر المبنية في أسس البيوت، إحدى تلك القطع، قطعة مكسورة من الرخام بحروف مسمارية كانت في مطبخ متهدم ويظهر أنها جزء من جدار ممر صغير يقال إنه يصل إلى عمق التل، وقد حفر فيه بعض الناس في السنة الماضية، لكن لا بد أن الممر يمتد إلى تحت البيوت، وأنهم كانوا يخافون الحفر تحتها، فقد سدوا الممر بالأنقاض. وقريباً من ذلك غرفة صغيرة مسكونة من نساء البلدة اللائي تركن الغرفة بكل أدب ليسمحن لنا بتفحص الغرفة بحريتنا. كانت هناك كتابة أخرى بحروف مسمارية كبيرة جداً على قطعة من الرخام، وأن هذه الكتابة غريبة جداً بحيث يبدو أنها كانت في موقعها الأصلي، ولا أشك بأن هناك آثاراً أخرى قد يُعثر عليها في التل، إلاّ أن الجزء الأكبر منها مغطى بطبقة سميكة من البيوت

الصغيرة، وأن مثل هذه الأشياء قد تُكشف عند ترميم أو سقوط هذه البيوت»[1].

رحلة الليدي دراور[2] 1923م

دونت الباحثة الليدي دراور في كتابها الموسوم «على ضفاف دجلة والفرات»، المعرّب عام 1961م، مشاهداتها عن العراق، ومن ضمنها زيارتها للموصل وضواحيها عام 1923م، التي تذكر فيها جزءاً من شهادتها أدناه:

«تل قوينجق أكبر تلي (تلول) نينوى، أجرد مقفر، وبه تحققت النبوءة القائلة: إنَّ مصير مدن آشور المنيعة إلى ركام وخراب. والتل الثاني نبي يونس، يقوم على بقايا قصر آشور بانيبال، وعليه اليوم قرية تركمانية جميلة، ولقد حال دون قيام المنقبين بحفرياتهم فيه ما يعتقده السكان المحليون من أن النبي يونس مقبور تحت المسجد وعلى قمة التل، وبذلك لم يستطع أي واحد منهم الكشف عما فيه من كنوز. وعندما احتل جيشنا الموصل ترك التل ولم يمسه بسوء. وفي الحق أن القبر المنسوب إلى النبي يونس إنْ هو إلاّ قبر رجل دين مسيحي، ذلك أن كنيسة مسيحية كانت تقوم فوق التل في يوم من الأيام، وأن الجامع يقوم على أنقاض الكنيسة هذه. ولن يستسيغ القرويون مثل هذا القول، فالنبي يونس محجة

---

(1) ريج، كلاوديوس جيمس، رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام 1820، 2008، ص 265.

(2) دراور، ايثيل ستيفاني (1879ـ1972م)، روائية وباحثة أنثروبولوجية بريطانية، اهتمت بالدراسات الخاصة بالطوائف المندائية واليزيدية في العراق حيث قضت فيه الكثير من الوقت.

لكثير من الناس ومزاره يدر عليهم المال، فذهابه فيه القضاء على سبب من أسباب نفوذهم.

والجامع عبارة عن بناء منخفض، تفوح في أرجائه الطيب، وقد فرش رواقه بالسجاد، وفي جدرانه كوى قبور وكتابات ملونة. ودخلنا غرفة مفروشة بالسجاد السميك، وفي وسطها صندوق خشبي كبير وعليه غطاء مطرز، وعلى إحدى نهايتيه عمامة كبيرة، وخيِّل لنا أن هذا هو مرقد النبي، أو بالأحرى القبر الذي يضم جثمان المسيحي الذي حظي بالتقديس خطأ، ولم يكن هذا بصحيح فالصندوق، على ما قيل لنا، يخفي الدرجات المؤدية إلى دهليز فيه القبر الحقيقي، ولم يرغبوا في إطلاعنا عليه، لذا لم تتح لنا زيارة ما قد يكون أقدم جزء من الجامع وأكثره إمتاعاً. وعلى جدار الغرفة التي تضم المدخل إلى القبو عُلّقت قطعة من سمك الكوسج، وهم يقسمون غير حانثين على أنه جزء بقي من الحوت الذي التقم ذا النون». [1]

(1) الليدي دراور، **على ضفاف دجلة والفرات**، ترجمة فؤاد جميل،2013، ص 24 ـ 28.

التنقيبات الأثرية في تل النبي يونس

أخذت بوادر الضعف تدب في جسد الدولة العثمانية منذ منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، وإثر ذلك أخذت الدول العظمى حينها (بريطانيا وفرنسا وألمانيا) تبدي اهتمامها بفتح قنصليات تجارية، وتشجيع المستشرقين والرحالة على القيام بمغامراتهم وتدوين مشاهداتهم، وكان ذلك أحد العوامل المهمة في الجهد الاستخباراتي لها والسياسي العسكري لاحقاً، لذلك كانت تحرص دوماً على إيجاد ممثليات سياسية وتجارية في ولايات العراق العثماني آنذاك (بغداد، البصرة والموصل). وكان أغلب القناصل الذين تم انتدابهم متعددي المواهب والاختصاصات، وبعضهم لا علاقة له بالسياسة قط، وإنما يجري إدخاله في دورات تدريب مكثفة لإجادة أصول البروتوكول، بينما يكون اختصاصه الدقيق علم النبات أو الارتحال أو الاستشراق... إلخ، كما سنفصل أدناه. أخذ هؤلاء القناصل وممثلو الشركات يمارسون هواياتهم الممولة من قبل الجمعيات التوراتية والإنجيلية لأغراض التحري والتنقيب، ومن ثم النبش الآثاري، وتجميع اللقى والمخطوطات بمختلف أشكالها ومن ثم شحنها إلى أوروبا.

وبما أن ولاية الموصل هي الحاضنة الجغرافية للحضارة الآشورية، حيث تقع فيها أغلب عواصمها الإمبراطورية، كآشور (قلعة الشرقاط

الحالية)، نمرود (كلخُ)، خُرساباد (دورشروكين) ونينوى، فقد كان لها نصيب كبير من عمليات نبش الآثار وتهريبها تارةً، أو إخراجها واقتسامها مع الباب العالي بموافقات خاصة تارةً أخرى.

وفيما يأتي عرضاً موجزاً للتنقيبات الأثرية التي تمت في موقع تل النبي يونس.

حفريات بول إميل بوتا[1]

أنشأت الحكومة الفرنسية عام 1842 قنصليةً لها في الموصل، وعينت فيها السيد إميل بوتا قنصلاً (وهو من أصل إيطالي وحامل للجنسية الفرنسية)، والذي يعود إليه الفضل في البدء بعمليات البحث عن الآثار في نينوى. قبل أن يغادر باريس لتسلم منصبه في الموصل عقد بوتا عدداً من اللقاءات مع موهيل[2]، الذي أشار إليه أن الموصل كانت مركزاً لمقاطعة تتمتع بأهمية تاريخية وآثارية كبيرة، وحثه على الاستفادة من هذه الفرصة الذهبية لجمع اللقى الأثرية، وحتى القيام بالحفريات على حسابه الخاص.

كان موهيل قد قرأ أعمال كلاوديوس ريج، وأدرك بشكل واضح أن

---

(1) بول إميل بوتا: عالم نبات ينحدر من أصل إيطالي ولد عام 1802. ارتحل حول العالم وهو في عمر 24 سنة، وقد انتدبته الجمعية الآسيوية الفرنسية عام 1842 كقنصل للحكومة الفرنسية في ولاية الموصل، ونجح في خُرساباد حين فشل في تل النبي يونس، وأصدر مؤلفه الشهير «آثار نينوى» Monuments de Nineveh في باريس 1848 ـ 1859.

(2) يوليوس موهيل: مستشرق فرنسي معروف، وأحد كبار الجمعية الفرنسية الآسيوية المسؤولة عن تزكية القناصل للحكومة الفرنسية في القرن التاسع عشر الميلادي وانتدابهم لغرض خدمتها في موضوع التنقيبات، وشراء الوثائق التاريخية والدينية القديمة في الشرق الأدنى وشحنها إلى فرنسا.

هذا المؤلف قد عثر على الموقع الأكيد لآثار نينوى، وتوقع أن تكون هناك كنوز لا تزال مدفونةً لا تقدر بثمن. ويقال إن تعيين بوتا كقنصل في الموصل كان نتيجة لتأثير ونشاط موهيل، الذي أقنع الحكومة الفرنسية والأوساط المثقفة في فرنسا بأن قنصلاً فرنسياً في الموصل بإمكانه أن يقوم بنفس ما قام به القنصل الإنكليزي في بغداد، أي جمع عدد كبير من المخطوطات الشرقية والألواح المسمارية... إلخ[1].

بعد وصوله إلى الموصل، في كانون الثاني عام 1842م، باشر بوتا بالتنقيب في تل النبي يونس، لكنه لقي معارضةً شديدةً من الأهالي والسلطة المحلية بسبب وجود الجامع، فاضطر إلى ترك العمل بالموقع والانتقال إلى تل قوينجق المقابل، وبدأ العمل فيه في شهر كانون الأول من العام نفسه. لكن النتائج التي حصل عليها مقابل الكلف المادية كانت مخيبةً للأمال، فقرر ترك النبش في نينوى واتجه إلى موقع قرية تبعد مسافة 14 ميلاً شمال نينوى ليعثر بالصدفة على دور شروكين (خُرساباد) عاصمة العاهل شروكين الثاني (سرجون الآشوري)، والتي اعتقد حينها بأنها نينوى، فكتب عام 1844م يقول:

«إنني أول شخص يوفق في اكتشاف ألواح منحوتة جميلة تعود إلى فترة ازدهار نينوى»[2].

---

(1) الآلوسي، سالم، **رواد علم الآثار في العراق**، 2015.، ص39.

(2) سباكز، هاري، **قوة آشور**، ترجمة د. عامر سليمان، 1999، ص 413 ـ 448.

حفريات أوستن هنري لايارد

ولد أوستن هنري لايارد في فرنسا، ونشأ في إيطاليا ثم انتقل إلى إنكلترا ليعمل في الخدمة المدنية. أقلع عام 1839م من بروكسل صوب الشرق حيث الهند وسيلان، لكن بوصلته كانت دوماً تأخذه باتجاه بلاد النهرين وإيران، ليصل عام 1840م إلى ولاية الموصل ـ حلب، وهناك تعرّف على هاوي العاديات وليم فرانسيس إينزورث، الذي طبع كتاباً بعنوان «بحوث عن بلاد آشور وبابل وكلديا»، وكذلك تعرّف على كريستيان رسام وشقيقه هرمزد (من مسيحيي المنطقة، وكان نائباً للقنصل البريطاني آنذاك)[1]، والتقى أيضاً بوتا الفرنسي، الذي كان يشغل وظيفة قنصل فرنسا في الموصل، وقد عامله بكل احترام، ورافقه إلى حيث قوينجق والنبي يونس. وقد قضى لايارد معظم وقته على تل قوينجق.

كان بوتا قد باشر عام 1843م بحفرياته المثيرة في دورشروكين، فأرسل تقريراً شخصيّاً إلى لايارد عنها. بعد ذلك قامت ثورة فبراير عام 1848م في فرنسا، وأُلغي منصبه في الموصل لمعارضته الثورة، فانكفأ مدةً، ثم عُين قنصلاً في طرابلس الشام، وكتب في آذار برقية إلى لايارد عن إمكانية العمل المشترك في خُرساباد.

من الواضح أن لايارد استفاد من نتائج حفريات بوتا السابقة، فقام عام 1845م بحفرياته في نمرود (كلخُ). وقد استمر البريطانيون في مجازفاتهم بالحفر في تل النبي يونس، حيث يعترف لايارد بأنه، بسبب رغبته في استكشاف ما يخبئه تل التوبة، قام في إحدى ليالي أيلول سنة 1850م بالتنكر، هو ومساعده هرمزد رسام، بملابس القرويين المسلمين،

---

(1) الآلوسي، سالم، **رواد علم الآثار في العراق**، 2015، ص39، ص 97.

وصعدا تل النبي يونس، وتسللا خلسةً إلى الضريح صحبة الحارس الذي تمت رشوته، فأشبعا فضولهما، وأخذا قياسات الضريح، ثم قدَّم لايارد رشى لبعض أصحاب البيوت المقامة فوق التل، وقام عماله بالحفر ليلاً في الخفاء، بعيداً عن أعين العثمانيين، وأدخله بعضهم إلى سراديب بيوتهم التي تظهر فيها أحجار منقوشة، فتمكن من نقل كتاباتها المسمارية، إلَّا أن كلاً من الوالي التركي كريتلي أوغلو، وقاضي الموصل كانا يترصدان تحركاته، وكانا على حق في ارتيابهما منه، فقد تصرف خلافًا وخرقاً للقوانين العثمانية، فأوقفا حفرياته في التل، وقد اضطر في النهاية إلى إيقاف التنقيب في هذا التل بسبب وجود المسجد ومقبرة عامة، فضلاً عن الدور السكنية الكثيرة المنتشرة حول بناء الجامع[1].

وفي رسالة إلى أحد أقاربه، ذكر لايارد: «***يسعدني أن أُخبرك بأني قد نجحت في حفر خندق واحد أو اثنين في التل الذي يقع عليه جامع النبي يونس، وعثرت على بعض اللوحات الحجرية، آمل أن أتسلم اليوم ورقةً منسوخة عليها الكتابات التي ظهرت على أحد هذه الألواح، وأرجو أن يضع ذلك حداً للتساؤلات المثارة حول آثار هذا الموقع وعلاقته بنينوى، وسأعمل على توسيع دائرة أبحاثي إلى ما هو أبعد من ذلك، فلدي معلومات عن مكان يقال إنه يحتوي على بعض الآثار، إلَّا أنني لا أستطيع الذهاب إلى التل بسبب أمور بالغة الحساسية، ذلك المكان يعدُّ مقدساً، وإذا ما عرفوا أن أجنبياً حفر فيه فإن ذلك سيقود إلى عواقب وخيمة***»[2].

دون لايارد نتائج تنقيباته في شمال بلاد النهرين بشكل جيد، واصدر

---

(1) كوبي، نورا، **الطريق إلى نينوى**، 1998، ص 375.

(2) المصدر نفسه.

حينها مؤلفين مهمين[1] عن القطع الفنية والنصوص المسمارية التي عثر عليها في نينوى .

حفريات هنري رولنسون

وصل السياسي البريطاني هنري رولنسون إلى بغداد عام 1843م متسنماً منصب الوكيل السياسي البريطاني، خلفاً لكلاوديوس ريدج، ومن جملة نشاطاته كان التنقيب في نينوى يصحبة هنري لايارد. باشر رولنسون بالحفر في تل النبي يونس في الشهر الخامس من عام 1851م، حيث قرر أن يذهب لاستكشافه، فقام برشوة صاحب أحد البيوت فوق التل ليسمح له بالحفر في ساحة البيت، وعندما شاع الخبر سارع جميع أصحاب البيوت الأخرى بالحفر في بيوتهم، ما أثار غضب السلطات العثمانية، وأُجبر رولنسون على التوقف بعد أن تمكن من العثور على ألواح جدارية مدفونة عميقًا قرأ فيها أسماء الملوك شلمانو أشاريد (شلمنصر)، وسين أخي ريبا (سنحاريب)، وآشور أخي إدِينا (اسرحدون). بعدها عاد إلى بغداد لمتابعة مهامه الدبلوماسية، تاركاً رئيس العمال طعمه، ولقبه (شيش مان أو حامل الشيش) مع مجموعته ليكملوا الحفر العشوائي في (تل قوينجق)[2].

وقد دوَّن رولنسون نتائج حفرياته حينها في مؤلفه الموسوم (موجز تاريخ بلاد آشور ـ 1852م)، ونشره أولاً كمقالة في مجلة الجمعية الآسيوية

---

(1) 1-Inscriptions in the Cuneiform characters from Assyrian Monuments 1848.

2- Nineveh and its remains, the monuments of Nineveh1849.

(2) Gadd , C.J. The stones of Assyria وChatto and Windus London, 1936, PP81. 82.

الملكية، ثم طبعه ككتاب بعنوان: **Outline of the History of Assyria** 1852م.

استنتاجات كامبل تومسن[1]

يستنتج كامبل تومسن أن أسرحدون عُني، بعد اعتلائه العرش إثر مقتل أبيه سنحاريب على أيدي واحد أو أكثر من أولاده، بإعادة تعمير قصر في التل، كان قد شُيد في الأصل مستودعاً للأسلحة وإسطبلات، وتخرب آنذاك فنقضه وأعاد تشييده مجدداً، مضيفا بذلك إلى المرتفع نفسه، وأرغم اثنين وعشرين ملكاً من بلاد الحيثيين للعمل فيه، وهذا القصر مدفون تحت بيوت النبي يونس (يقصد تل النبي يونس)، وسيبقى هناك حتى لا تعد تلك القرية قريةً.

(1) وهو عالم آثار وباحث مسماريات بريطاني (1876 ـ 1941) نقب في مواضع عديدة من العراق وسوريا، وقد ورد استنتاجه اعلاه في مؤلفه الموسوم «قرن في استكشاف نينوى»، (الباحث).

تنقيبات مديرية الآثار العراقية القديمة العامة في تل النبي يونس عام 1954م

اقتضى العمل عام 1954م، خلال شق الطرق التي قامت بها بلدية مدينة الموصل من جهة أربيل لغرض فتح شارع يصل إلى الجسر الجديد، إزاحة قسم من السور الحجري الملاصق لبوابة شمش في نينوى القديم، وجزء صغير من المنطقة الجنوبية الغربية لتل النبي يونس. وكانت فرصةً ذهبيةً للتحري في التل، وهو الجزء الوحيد الذي لم ينقب فيه بسبب وجود الجامع من جهة، وقيام القرية والمقبرة عليه من جهة أخرى، فجرى إيفاد هيئة مكونة من السيدين فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، صحبة عمال تنقيب شرقاطيين ماهرين للعمل في التحريات المذكورة.

وقد تكللت جهود المديرية بكشوفات باهرة، تُعد من أهم الاكتشافات عن الآشوريين في الآونة الأخيرة، بالرغم من آثار الحرائق الهائلة التي التهمت الكثير من موجودات المعاثر في قصور الملوك الآشوريين في نينوى، إثر سقوطها عام 612 ق. م على يد تحالف الكلديين، بزعامة نابو أبلِ اوصّر (نابو بلاصر)، والميديين بزعامة كي اخسارا، وهذا ما يظهر للمنقب في كل مكان من المدينة، وخلال التنقيبات الأولية عُثر على ألواح رخامية جميلة موجودة في الغرفة الأولى منقوش عليها اسم العاهل آشور بانِ إبلِ (آشور بانيبال). وكانت بعض اللقى التي تم العثور عليها ألواحاً تعود إلى قصر والده آشور أخي إدِينا (أسرحدون) ترقد في الموضع ذاته، حيث استظهر السيد محمد علي مصطفى مسطبة صلدة ضخمة من اللِّبن تؤلف الزيادة في التل، وربما تكون الجدران الخارجية والمصطبة العظيمة التي اشتغل في إنشائها اثنان وعشرون ملكاً من الحيثيين بأمر من العاهل أسرحدون.

تماثيل فرعون مصر تهراقا المكتشفة في تل النبي يونس

خلال تنقيبات مديرية الآثار القديمة العامة في تل النبي يونس عام 1954، عُثر على مجموعة تماثيل مهشمة، لم يبق منها إلا القاعدة الرخامية بكتابات هيروغليفية للفرعون المصري تهراقا، وقد نشر الأستاذ ناجي الأصيل مدير الآثار القديمة العامة مقالاً عن الموضوع[1] آنذاك عرّج فيه على الكشف عن ثلاثة تماثيل فرعونية للملك النوبي تهراقا وجدت في الغرفة الأولى، وكان الظن حينها أن العاهل الآشوري آشور أخي إدِينا (أسرحدون) جلبها بعد فتحه مصر عام 671 ق. م، ووضعها في مدخل القصر، ربما إشارة إلى أنها إحتفاءً بانتصاره العظيم، كشاهدٍ على عظمة آشور آنذاك. تلت ذلك المقال لاحقاً دراسة مهمة للأستاذ فلادمير فكنتيف نُشرت في مجلة سومر[2] عام 1955، تبيَّن من خلالها أن هذه التماثيل ربما كانت قد قُدِّمت كهدايا من قبل الفرعون النوبي إلى الملك الآشوري أسرحدون، وفقاً لأصول التقدير والاحترام المألوفين في تلك العصور، ولم تؤخذ له كغنائم. ومما يؤيد أنها كانت هدايا وجود اسم إله الحرب (آنهور ـ أونوريس) واسم الموقع (تا ـ أربالو) في الكتابة المنقوشة على قاعدة تلك التماثيل، ويدل ذلك على أن الفرعون قد أرسل رسالةً مبطنة للعاهل الآشوري مفادها أنني أراسلك من موقع المقتدر لا الضعيف من قلب مملكتي في النوبة وليس من أرض مصر[3].

---

(1) الأصيل، ناجي، **القصر الآشوري في النبي يونس**، مجلة سومر، الجزء الثاني، 1954، ص 107.

(2) فيكنتيف، فلادمير، **تعليقات على تماثيل تهراقة من قصر أسرحدون**، مجلة سومر، المجلد 11، 1955.

(3) كانت العادة الدبلوماسية المتبعة آنذاك أن تُذكر مدينة (تا ـ ستي) والإله (آمون ـ رع)

النقوش الموجودة في قواعد تماثيل تهراقا، التي عُثر عليها في مدخل قصر العاهل الآشوري آشور أخي إدِينا في نينوى، أدناه ترجمة نصوصها:

الإله الصالح، سيد التقدمات، تاهراقا الحائز على الحياة الأبدية

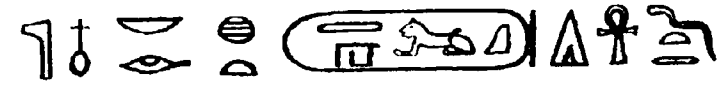

محبوب انهور، المقيم في تا ـ اربالو، الحائز على الحياة الأبدية

في المكاتبات كنوع من الإشارة إلى سيطرة فراعنة النوبة على أرض مصر في تلك الفترة، فيكنتيف، فلادمير، **تعليقات على تماثيل تهراقة من قصر أسرحدون**، مجلة سومر، المجلد 11، 1955.

تنقيبات المؤسسة العامة للآثار والتراث في تل النبي يونس عام 1986م

عُثر بالصدفة في العام 1986م على مقدمة صدر لثور مجنح بارتفاع حوالي 30 سم على أرضية تل النبي يونس، في الجانب الشرقي منه، وبعد عدة أيام من العمل المتواصل فيه ظهر أنه ثور مجنح من حجر الحلان المحلي بطول 4,5 متر وارتفاع 2,8 متر وعرض 1,1 متر، ويتألف من قطع متعددة بحدود ست، ويحتمل أن تكون ثماني، وليس قطعة واحدة كما هو متعارف عليه في قصور الملوك في العواصم الآشورية.

كما تبيَّن بأن الثور المجنح يتصل من ناحية الجنوب باستمرارية لوحة جدارية منحوتة بالأسلوب نفسه (حجر الحلان مرصوف بشكل مستوي)، وتظهر أقدام رجل وخلفه جزء من ذنب، أو احتمال قدم حيوان آخر متجه نحو الجنوب.

ويمكن اعتبار موقع الثور المجنح في زاوية من فناء قصر مكشوف (بدلالة كونه منحوتاً من حجر الحلان الذي يقاوم الأمطار)، وأن الساحة المبلطة شمالاً وشرقاً تدل على أن الموقع يعود لقصر أحد الملوك الآشوريين، كما أن قطع الطابوق المزجج توضح وجود عقد مزين (مزخرف) يربط بين منطقتين كمدخل أو حنية مغلقة.

وتشير الروايات التاريخية إلى وجود قصر أسرحدون (القرن السابع ق. م) في منطقة تل النبي يونس، وعلى هذا الأساس نستنتج أننا، خلال هذا الاكتشاف، في وسط قصره.

وبحسب شهادة الباحث الآثاري حميد الشمري، فإنه جرى، خلال أعمال المؤسسة العامة للآثار والتراث في الموقع عام 1990م، الكشف

عن عدد من الثيران المجنحة الأخرى غير مكتملة النحت (ما يربو على 4)، إلى الخلف من الثور شبه المتكامل، الذي هو بلا رأس، وقد اكتشفت الرأس الهيئة التنقيبية المختصة في الموصل، وقامت بدفنه في الموقع!، بالإضافة إلى كشف بقايا بوابة القصر خلال تلك الفترة[1].

(1) سليمان، عامر، **العراق في التاريخ القديم**، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي، جزء 2، ص 375.

قصر الملك آشور أخي إدِينا (أسرحدون) في نينوى الذي حوى كل شيء»[1]

وردت تفاصيل مهمة عن هذا الموضع الاثري في حوليات الملك آشور أخي إيدينا (أسرحدون، 680 ـ 669 ق.م) والتي تم الحصول عليها من نصوص الالواح المسمارية المكتشفة.

ـ *«في ذلك الوقت، أصبح مستودع الأسلحة، الذي بناه في نينوى أسلافي الملوك من أجل تجهيز المعسكر وتهيئته لتحشيد الخيول، والبغال والعربات، وعدة الخيول والمعارك، وكل أنواع الغنائم المأخوذة من العدو، والتي منحها لي آشور ملك الآلهة، أصبح صغيراً جداً لتدريب الخيول، ولمناورات العربات، لذلك أرسلت الناس من كل البلدان، والذين كانوا حصتي من الغنائم للعمل بالمجرفة وقوالب الآجر، وقد صنعوا الآجر. لقد حطمت هذا الصرح الصغير بالكامل، واستوليت على أغلب الأراضي من الحقول المجاورة، وأضفتها إلى أرضي لتوسيعه، وجمعت الأحجار لعمل مصطبة محاطة بأحجار الكلس، وبنيت فوق هذه المصطبة (مبتدئاً) في الشهر المناسب واليوم المفضل مبنى كبيراً وقصراً لإقامة سيادتي، طوله خمسة وتسعون ذراعاً وعرضه واحد وثلاثون ذراعاً، وبشكل لم يفعله أي من أسلافي الملوك من قبل. مددت عوارض قوية من خشب الأرز، والباب مصنوع من خشب السرو الذي له رائحة طيبة، وكسوته بالفضة، والنحاس وعلقتها في طرق مداخله، وعلى يمين المدخل وشماله، وضعت اللاماسو أشكالاً حجرية تعيد الشخص الشرير إلى الوراء، وتحمي (كل) خطوة،*

---

(1) الفتلاوي، أحمد حبيب سنيد، أسرحدون (680 ـ 669 ق. م)، رسالة ماجستير، 2009، ص 199.

وتحرس كل حركة للملك الذي شيدها. وبفن بنيت هذا القصر من حجر الكلس، وخشب الأرز الممتد إلى حد بعيد لبهجة سيادتي، وفيه شيدت تماثيل جنيات أنثويةً من النحاس المصقول التي تنظر في الوقت نفسه إلى الأمام وإلى الخلف، ووضعت أعمدةً عاليةً من خشب الأرز وألواحاً عند الأبواب حول هذا القصر. صنعت إفريزاً ضيقاً مزيناً بالسبج واللازورد، وجعلته يحيط به مثل إكليل الزهور، وتوجت كل الأبواب بقوس وكور كيقو Giqqu ـ Kur مثل قوس قزح، وأضفت إليه زخارف سيكاتو Sikkatu من الفضة الضاربة إلى البياض والبرونز اللامع. وفي عمل النقوش نقشت عليه أعمال آشور سيدي القوية التي أنجزتها في الكثير من بلدان الأعداء، ووسعت كثيراً، أيضاً، غرفة الانتظار الكبيرة في القصر وممرها، وبنيت وأكملت هذا القصر بالكامل من أساسه إلى الشرفة، وجهزته بترف، وأطلقت عليه اسم «القصر الذي يحوي كل شيء»[1].

ـ «واستدعيت كل الملوك الاثنين والعشرين في أرض خاتي والساحل والجزر، وأرسلتهم مع الامتثال لأوامري إلى نينوى، وقد انتقلوا بصعوبة، مع العوارض الكبيرة، والأعمدة القوية، وألواح خشب الأرز من جبل سيرار Sirara، وجبل لبنان، وتماثيل أنثوية لجنيات حامية، وجنيات ذات شكل يشبه البقرة، وألواح مرمر للعتبات، وحجر أشنان ـ حجر تورمينا ـ حجر برسيا ـ حجر أنكيسا ـ حجر الالة، وحجر خليبيا، وهي كتل حجرية من كل الجبال الأصلية كمتطلبات لقصري»[2].

ـ «وقد دعوت إليه آشور وعشتار نينوى وكل الآلهة العظيمة الأخرى

---

(1) Luckenbill. Daniel David, Arab, Vol II.,1927, PP.268 - 269. 697, 698.

(2) Pritchard J.B, the Ancient Near East Vol. I. ,1973, P201.

*في آشور، وعملت قبلها بأسراف أضاحي من الحيوانات المطهرة (حسب الطقوس) وعرضتها كهدايا، ومن ثم منحتني هذه الآلهة بركاتها بإخلاص على حكمي الملكي، وجعلت النبلاء، وكل الناس العاديين في بلدي يجلسون في مأدبة مفرحة لوجبة طقسية مهيبة ليأكلوا كل ما يرضي قلوبهم، وملأت بطونهم بالخمر وجعة كورمو **Kurumu**، وبللت رؤوسهم بالزيت الطيب، وحتى بزيت إيكولو **igullu**، وبأمر آشور ملك الآلهة وآلهة آشور جميعهم لأحيا طويلا فيه بصحة جيدة وقلب راضٍ وروح سعيدة، وأبقى إلى أن يصبح عمري طويلاً، وأستمتع فيه بروعته. وفي الشهر الأول من احتفالية السنة الجديدة سأستعرض، من دون انقطاع، كل الخيول والبغال والحمير والجمال، وكل عدة الخيول، وعدة المعركة، وكل جيوشي، والغنائم المأخوذة من العدو، ولتبقى الأرواح الحسنة الشيدو واللاماسو في هذا القصر إلى الأبد، ولا تفارق فناءه، تراقب خطواتي الملكية، وتبقي مزاجي سعيداً»*[1].

وقد ورد ذكر الملوك الآتية أسماؤهم في الالواح المسمارية التي عُثر عليها في التل:

- الملك أدد ساعدني (أدد نراري 810 ـ 783 ق. م) الثالث: ورد اسمه منقوشاً على قطعة آجر من الموقع.
- الملك شلمانو أشاريد الثالث (شلمنصر، 858 ـ 823 ق. م): ورد في النص أنه أنشأ مستودع (إيكال مشارتي) للأسلحة.
- الملك سين أخي ريبا (سنحاريب، 704 ـ 681 ق. م): ذُكر في حولياته

---

(1) Luckenbill. Daniel David, Arab, Vol II, 1927, P. 270, 700.

أنه هدّم المبنى السابق للملك شلمانو أشاريد (شلمنصّر) في نينوى، وبناه من جديد ليسع أعداداً أكبر من الجياد والعربات ومستودعاً للأسلحة ولغنائم العدو.

- الملك آشور بانِ إبلِ (آشور بانيبال، 669 ـ 627 ق. م): ورد اسمه في أحد الألواح بمدخل القصر.

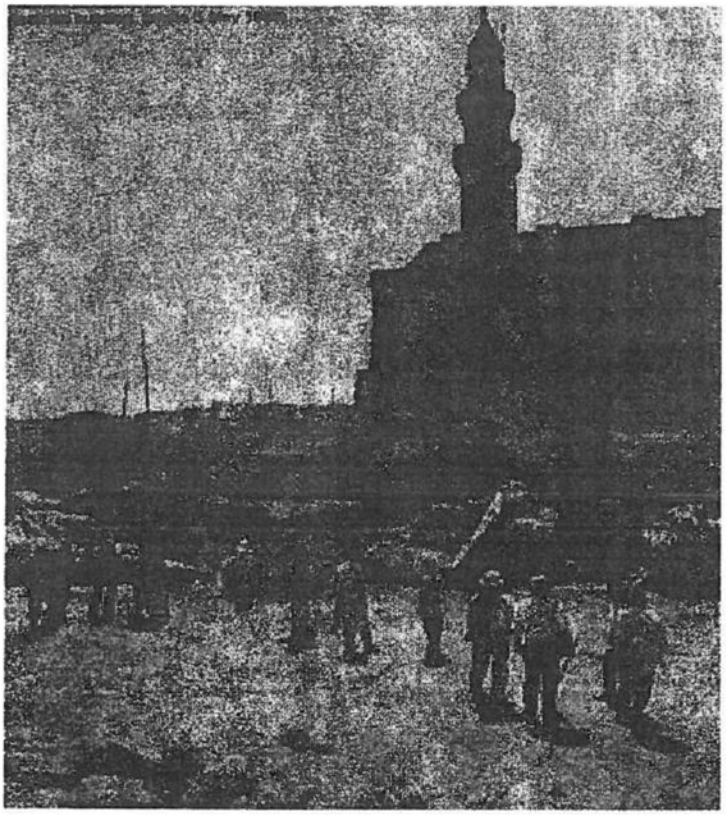

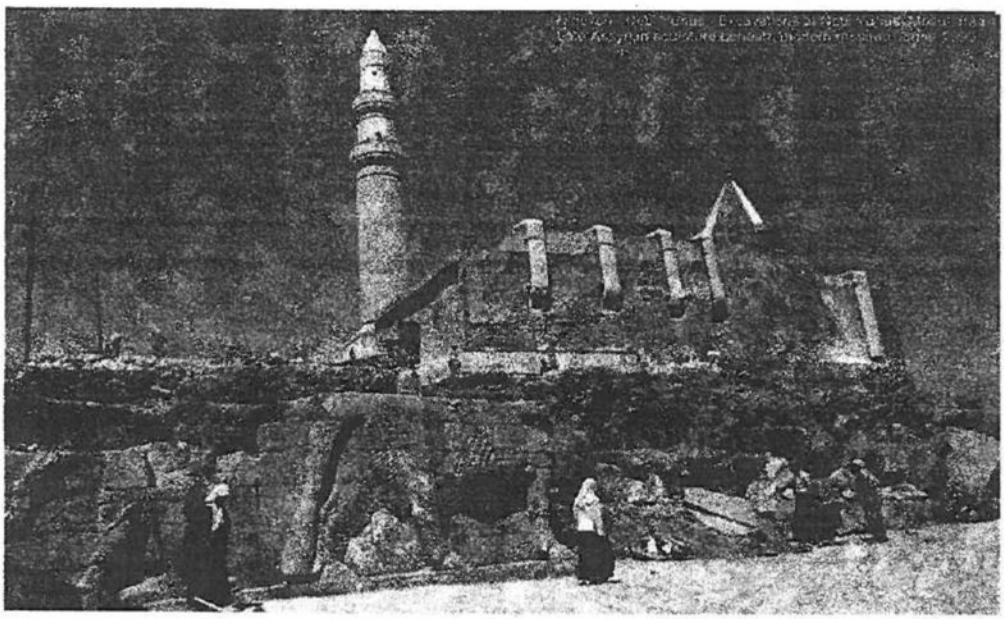

شكل (10) صور توثق لتل النبي يونس إبان حفريات المؤسسة العامة للآثار والتراث عام 1990

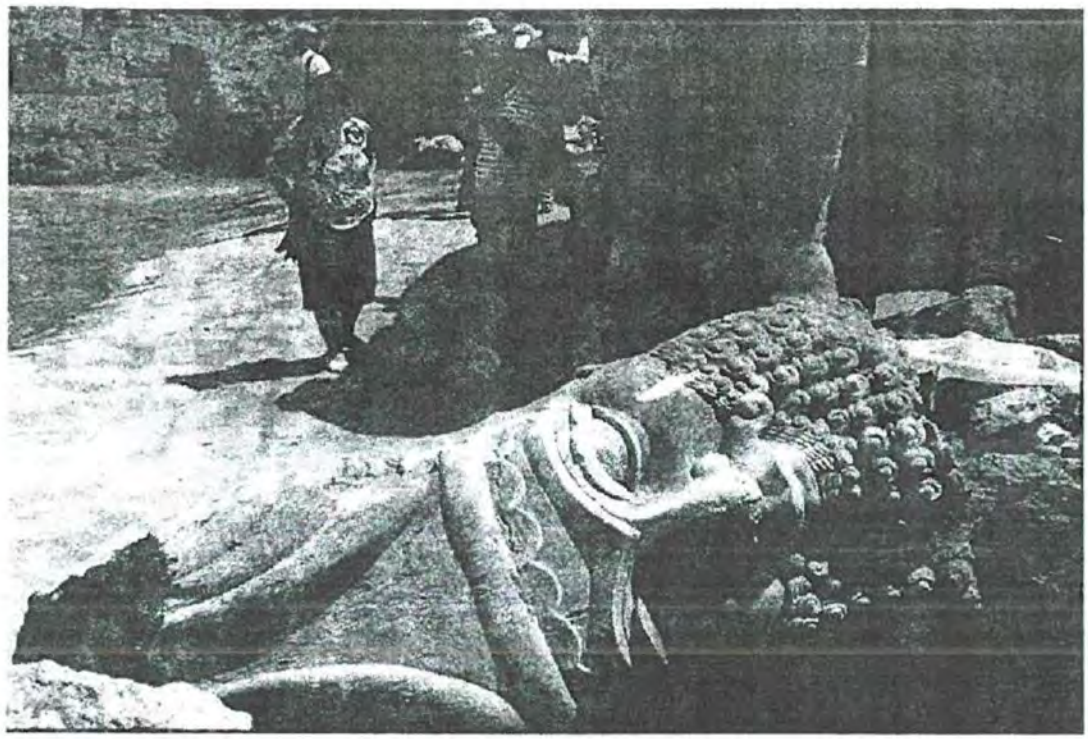

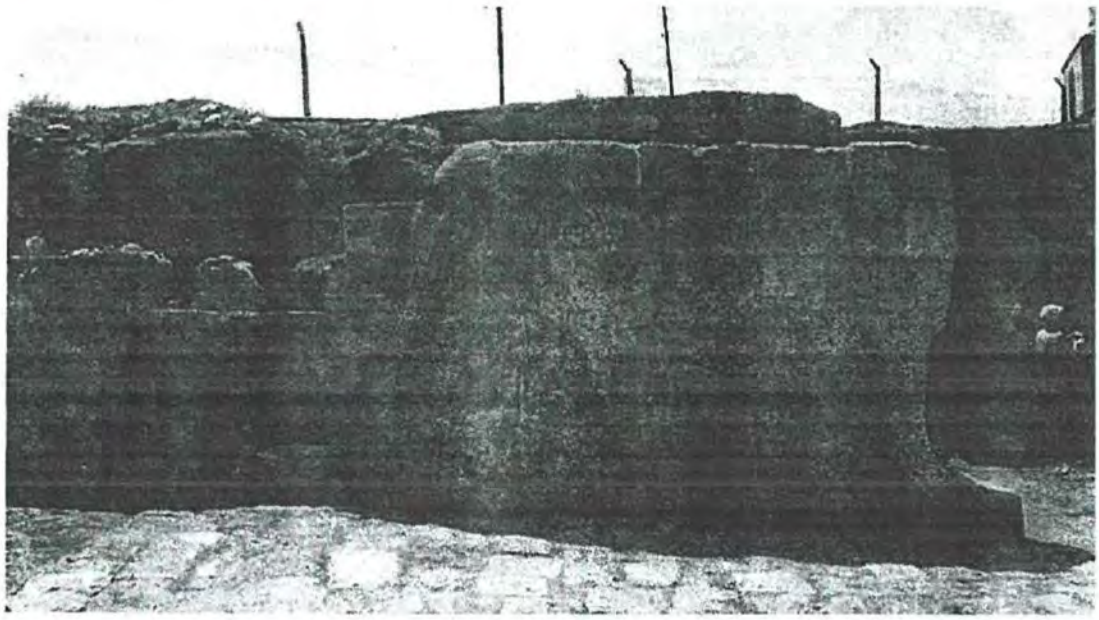

شكل (10) صور توثق لتل النبي يونس إبان حفريات المؤسسة العامة للآثار والتراث عام 1990

مواضع أخرى تنسب إلى النبي يونس

من المؤرخين الذين تطرقوا إلى المواضع الأخرى العائدة الى النبي يونس المؤرخ ياسين أمين العمري، الذي ذكر عند كلامه عن النبي يونس قائلاً *«إنه توفي في جبل صهيون، وقيل بأرض الموصل في تل توبة من أعمال نينوى شرقي دجلة، مقابل الموصل، هناك مزاره وتنزل عليه الأنوار، وقيل إنه دُفن بأرض حلحول وقيل بالكوفة، وطرسوس»*[1].

قبر النبي يونس ومسجده في فلسطين

يوجد مسجد للنبي يونس في مدينة حلحول التابعة لمحافظة الخليل، في أعلى الهضبة الفلسطينية (الضفة الغربية) البالغ ارتفاعها بحدود 1000 متر، ويوجد في داخل المسجد قبر يعود إلى النبي يونس (من دون وجود أي تأكيدات على هذه العائدية). وما يمكن تأكيده أن منارة المسجد بناها ابن شقيق صلاح الدين الأيوبي الذي يدعى عيسى الأيوبي عام 1226 م.

---

(1) الديوه جي، سعيد: جامع النبي يونس، مجلة سومر المجلد 2، 1954.

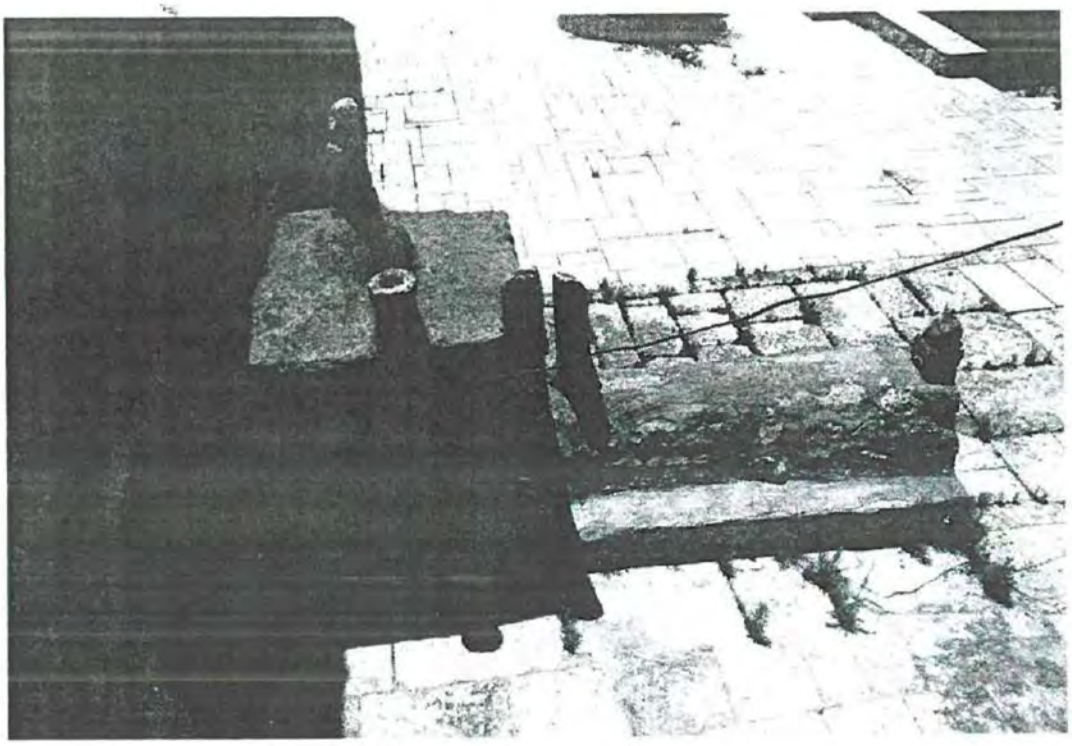

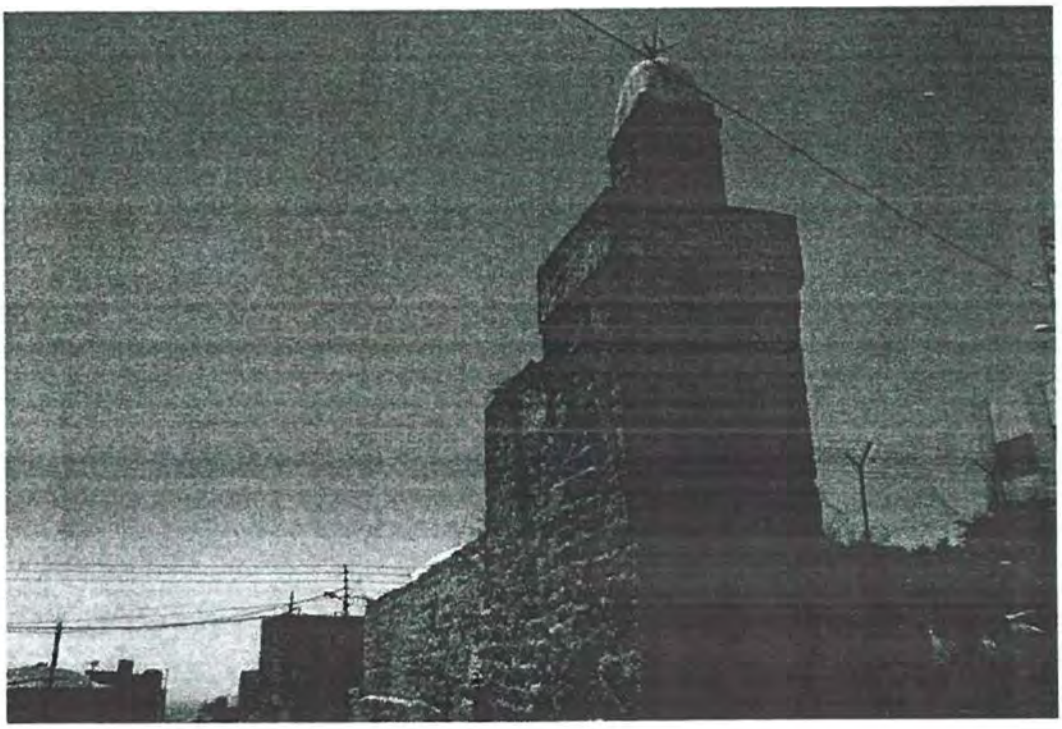

شكل (11): قبر النبي يونس ومسجده في مدينة حلحول ـ فلسطين

مقام النبي يونس في بلدة كفرا بقضاء بنت جبيل في جنوب لبنان.

يؤكد الباحث اللبناني موسى سلمان ياسين وجود مقام للنبي يونس في قرية كفرا التي تقع في قضاء بنت جبيل في جنوب لبنان، وكانت تسمى سابقا «دير حناشر»، كما سميت «البرياس». ويوجد ضريحه داخل المقام، ولا يزال موجوداً حتى الوقت الحاضر بالضيعة القديمة (بلدة الجيّة الساحلية)، حيث يُعتقد بأن الحوت قذفه إليها. وتوجد في محيط المقام آثار من معاصر وآبار وأعمدة وحجارة منقوش عليها رموز تاريخية، بقي منها القليل وتعرض الباقي للسرقة أو للتكسير.

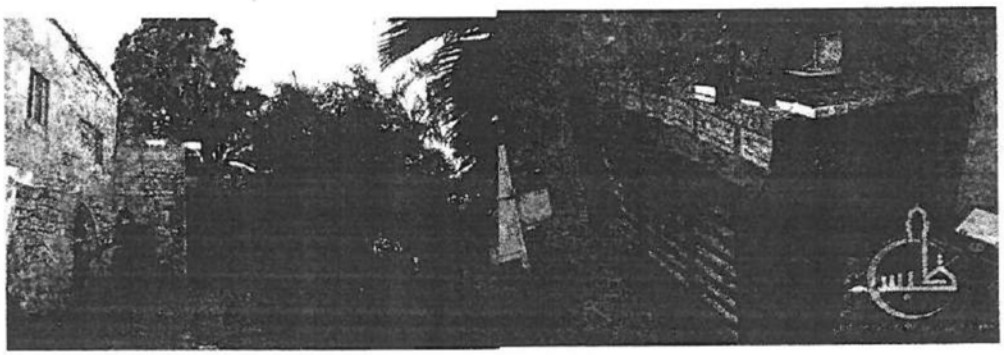

شكل (12): مقام النبي يونس في بلدة كفرا في جنوب لبنان

وبحسب السيد ياسين فإن بلدة دير كفرا كان يمكث فيها أكثر من مائة وستين ألف نسمة، وفيها ولد نبي الله يونس من أب فقير ومؤمن، كان يعمل حطاباً ويعيش من الاحتطاب الذي يبيعه وقوداً للناس، وكان يقطن بيتاً صغيراً على حاله، وهو رجل زاهد كثير الإيمان، يذهب كل يوم إلى الوعر المجاور ليسترزق منه، ولا يزال هذا الوعر موجودا إلى عصرنا هذا ويسمى وعر كفرا. وعلى حد قول الشيخ يونس بركات يؤكّد أبناء الجيّة أنه اكتشف في بلدتهم آثار فسيفساء عبارة عن «رسم لسمكة كبيرة»،

كما توجد لغاية اليوم آثار كنيسة بيزنطية دلت آثارها المكتشفة ونقوشها ورسومها على قصة النبي يونس. وينقل أهل البلدة عن أجدادهم أن المقام كان ملاصقاً للشاطئ الرملي، يخرجون إليه من على سطح المقام، وأن المسلمين والمسيحيين يزورون المقام، ويقدمون نذورهم لاعتقادهم بكرامة صاحبه الذي لفظه الحوت في عين المبنى الذي عليه المقام. فالناس تتبرك به وتقدّسه لأن يونس عليه السلام مكث فيه إلى أن تعافى من سقمه وعاد إلى نينوى.

وقد زار الرحالة الأميركي إدوارد روبنسون (1838 ـ 1852) المقام وذكره في كتاب[1] له بالوصف الآتي:

«وصلنا إلى خور آخر، شاطئه طويل وساحله ناشف، ويتقوس داخل البر. وبعد أن تجاوزنا نصفه بمسافة قصيرة وصلنا الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة إلى خان النبي يونس بقبته البيضاء. وتذكر أسطورة إسلامية أنه المكان الذي قذف الحوت يونان النبي إليه».

(1) روبنسون إدوارد، بحث توراتي عن فلسطين والأقاليم المجاورة، ترجمة أسد شيخاني، 1949.

نبيّ من عُمـــان[1]

في مؤلفه الموسوم «خفايا التوراة»، ينقل الباحث د. كمال الصليبي جغرافية الحدث المتعلق بالنبي يونس، كما يرد في التوراة، إلى فم الخليج العربي في عُمان، ويحاول من خلاله استكمال بحثه الرئيس «التوراة جاءت من جزيرة العرب». تتشكل لدينا من عنوان الفصل «نبي من عُمان» فكرة عما سيحاوله الباحث من اجتهاد. يستخدم الصليبي معرفته الغزيرة باللغات القديمة، وارتحالاته في جسد جغرافية المنطقة في إثبات أن النبي يونان قد بُعِث إلى سكان ما يشكل الآن دولة عُمان (عُرِفت بمگان في النصوص المسمارية العراقية القديمة)، وأنه من أنبياء القرن التاسع أو الثامن ق. م، وأن زمن تدوين الأحداث المتعلقة به كان حوالي (350 ـ 250 ق. م)، أما أسماء الأماكن الجغرافية التي وردت في العهد القديم، فيضع لها ما يقابلها من مواقع ومدن قديمة وقرى في عُمان بعضها لا يزال مأهولاً بالسكان، فعلى سبيل المثال، نينوى عاصمة الإمبراطورية الآشورية يحيلها إلى قرية تدعى نِزوه، وتشتهر برعاية المواشي وتسويقها داخل البر العُماني باتجاه الصحراء، وترشيش هي شرشيتي في إقليم ظفار الحالي، وجت حافِر هي (حفرا) إلى الغرب من مدينة مسقط. ويجاهد الصليبي في بحثه ليقيس المسافات على الأرض، ويقدر من خلالها المدى الزمني الذي يتطلبه الارتحال فيما بينها ليقارنه بالنص التوراتي؛ محاولاً أن يصل بالقارئ إلى يقين، ثم يتبع ذلك بالقول إنَّ الحوت يعيش فقط في المحيط الهندي، وإنَّ

---

(1) الصليبي، كمال سليمان، خفايا التوراة، 2006.

لدى الهنود أساطير مشابهةً لقصة يونان، وربما حصل تلاقح ثقافي جراء القرب الجغرافي والتبادل التجاري والثقافي المترتب على ذلك. لكن ما يستوقف الدارس أن محاولة الصليبي، كاجتهاد، فاتها أن تتحرى عوامل أخرى مهمة، وألّا يكتفي بالإسقاط الجامد لنصوص العهد القديم على جسد الأرض ليفرض رسم خوارط متيبسة هدفها حقن فكرة وجود تطابق ما بين النص وثنائية (الاسم ـ الجغرافية) التي هي مركز ثقل الاجتهاد برمته، لكنها لا تلقي بالاً إلى عناصر أخرى لا تقل أهميةً لإسناد الفكرة حى تقف على قدميها، كالكشف الآثاري، والنصوص التاريخية، وتفاصيل عن الاستيطان اليهودي في عُمان، وما خلفه من تراث فكري وثقافي كما حصل في المواقع التي استقرت فيها الجالية اليهودية كالعراق وبلاد الشام ومصر.. لذلك نرى أن ما ذهب إليه الصليبي يبقى ضعيفاً من دون الأسانيد التي ذكرنا بعضا من عناصرها. لكن عزاء الباحث أن هذا الفصل هو (جزء من كل) متعلق بنظريته العامة في تفسير تاريخ الهلال الخصيب وشبه جزيرة العرب، التي مفادها أن التوراة جاءت من جزيرة العرب.

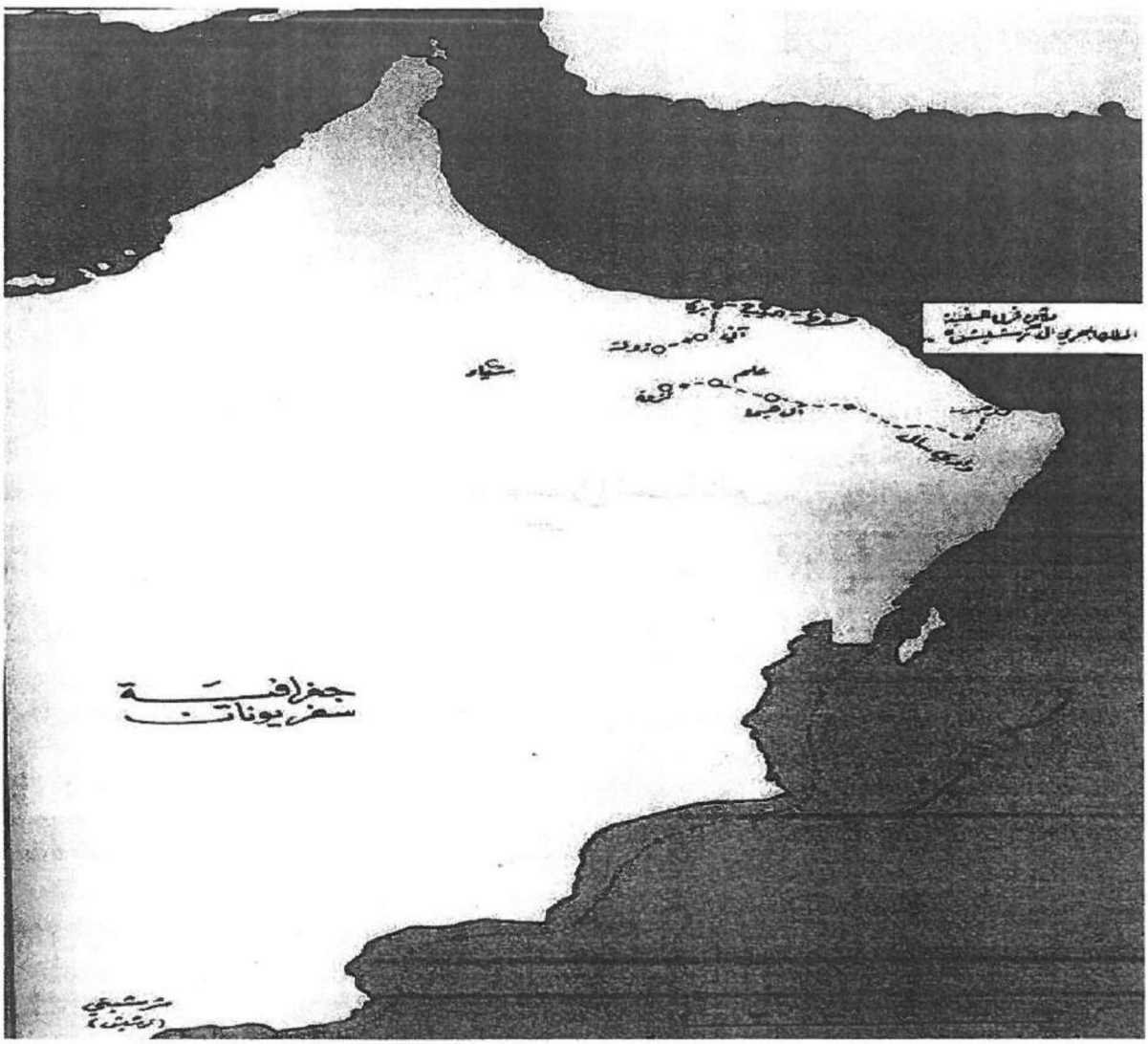

شكل (13): مخطط رحلة يونان المقترحة في عُمان من قبل الباحث كمال الصليبي
(خفايا التوراة)

استنتاجات

من خلال السرد التاريخي الذي أوردناه والمستند على الشواهد واللقى الأثرية من بلاد النهرين، ذكرنا أن المرحلين اليهود وحكماءهم قضوا وقتاً طويلاً في الموطن الآشوري[1]، ونتج عن ذلك اتصال حضاري، تلاه نوع من تبعية ثقافية لليهود المرحلين لصالح الآشوريين. وليس بجديد القول إن منجزات الفكر العراقي القديم كانت أحد أهم منابع نصوص العهد القديم، الذي نهل من أساطيره بمختلف نسخه من آشورية أو بابلية كلدية لاحقاً. فنحن نعلم مثلاً أن قصص الخلق والجنة، واستحضار رموز الأفعى وشجرة الحياة فيها، وقصة أيوب، وغيرها كثير، هي نسخ توراتية قريبة جداً من الأصل العراقي القديم[2]، وليس مستبعداً أن تكون

---

(1) «حصلت عمليات الترحيل لليهود باتجاه الحواضر الآشورية على مراحل، فقد تمكن شلمانو أشاريد الثالث (شلمنصر، 858 ـ 824 ق. م) من إخضاع الآراميين والفينيقيين واليهود، ثم الحملة الثانية التي قام بها ملك آشور توكلتي أبلِ أشرا (تجلاتبليزر الثالث، 744 ـ 727ق. م) على مملكة إسرائيل، التي استولى خلالها على أراضيها، ما عدا السامرة، وضمها إلى آشور، وحمل سكانها اليهود إلى الأماكن الجبلية النائية من المملكة، وأحل محلهم سكان من أقاليم أخرى. كما شن الملك شلمانو أشاريد الخامس (شلمنصر، 726 ـ 722. م) حملةً على مملكة إسرائيل، وحاصر عاصمتها السامرة، وأجلى الملك شرّوكين الثاني (سرجون) ما يقرب من 27280 نسمة إلى المناطق الجبلية في مملكة آشور». باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات**، 2011.

(2) ورد ضمن تصريح للآثاري العراقي الدكتور بهنام أبو الصوف، مدير آثار المنطقة الشمالية (1980 ـ 1986) في لقاء مع الباحث.

قصة ابتلاع الحوت ليونان[1] منحولة عن الأصل المتمثل بحكماء الإله إنكي السبعة، وخروجهم لتلقين الناس الحكمة والمعرفة والحضارة، كما ورد آنفاً في الفصل المتعلق بتاريخ مدينة نينوى وتأصيل اسمها في الفكر العراقي القديم، ويُحتمل أن تكون لفظة «نونو»، التي تعني «السمكة» باللغة الأكدية، هي الأصل في تسمية الحوت بالعربية «نون»، الذي اشتق منه «ذو النون»، وهو ذاته (يونه، يونان، يونس). وقد استعرضنا في الدراسة قصة الحوت وأصداءه في ثقافات العالم القديم.

بلغت الإمبراطورية الآشورية إحدى ذُرى امجادها إبان حكم الملك الآشوري آشور أخي إدِينا (أسرحدون)، وتوسعت جغرافياً حتى ابتلعت دولة مصر في عصر الفرعون النوبي تهراقا[2]، وكذلك بلاد الشام، والحيثيين في الأناضول. وكانت مصوغات الذهب ونفائس الأحجار الكريمة والقطع الثمينة تنهال على الحاضرة الآشورية من أطراف العالم، واستحق ملكها لقب ملك آشور والعالم، لكن ما تلا الحقبة الآشورية من احتلالات ونزوح سكاني وتبدل الثقافات، أخفى الكثير من المعالم الأصيلة للموقع وذاكرته التي توارت تحت رمال الزمن.

وفي غياب الوسيلة للوصول إلى، أو فك شفرة لغات نصوص بلاد النهرين القديمة، والحضارات التي جاورتها من مصرية وكنعانية حتى أواسط القرن التاسع عشر، فقد اعتُمد السرد التوراتي مصدراً وحيداً لتاريخ المنطقة لما يقرب من ألفي سنة، وكان لمدينة نينوى ومرافقها (ومن ضمنها

---

(1) قارن ما بين الاسم أوناس أو أونيس في الاساطير العراقية القديمة، وقارنه ب يونان أو يونس في النصوص الدينية التوحيدية.

(2) الأصيل، ناجي، **القصر الآشوري في النبي يونس**، مجلة سومر، الجزء الثاني، 1954.

تل التوبة) حصة في النسخة التوراتية للتاريخ، فأصبح هذا الموضع تلاً لتوبة رب العبرانيين عن سكان نينوى وملكها، وهو ما لا تؤيده الشواهد والدلائل التاريخية التي كُشف عنها لاحقاً، بعد النجاح في فك شفرة اللغة الاكدية بنسختها الآشورية المدونة بالكتابة المسمارية، والتي أظهرت الوجه الحقيقي للأحداث بحسب مدونات أهل البلاد الأصليين. ثم يدور الزمن بالتل ليقام دير فوق منشآت الآشوريين ومعبد الزرادشتيين، في ما بعد، باسم «يونان ابن أمتاي»، ويتوفى فيه قس يحمل اسم حنا نيشوع (سبريشوع) الأول (البطريرك الأعرج) ويُدفن هناك، ينتشر الدين الاسلامي في أرض العراق ويصبح الدير لاحقاً جزءاً ملحقاً بمسجد، وتنتقل عائدية القبر إلى النبي يونس، الوارد ذكره في القرآن الكريم. ومع تراكم الزمن، وكثرة الاحتلالات، وسطوة الحكام المتعاقبين، يُسجل الموضع كقبر باسم النبي يونس، ويصبح مزاراً مقدساً لدى المسلمين[1]. وبسبب هذه القدسية لن يكون بالإمكان النزول إلى الناؤوس لكشف سر الجثمان المسجّى في داخله.

إن ما يتحتم تذكره دوماً أن الجامع الحالي لا يُرى متجهاً صوب مكة المكرمة، بل صوب الشرق، كما كان شأن كل كنيسة قديمة، حتى أن حجر التجديد الذي وضعه جلال الدين إبراهيم الخُتَني سنة 1365 بمنزلة محراب تحتَّم وضعه عرضياً بالنسبة إلى الجدار الذي هو في صدر الجامع، وذلك لتصحيح اتجاه القبلة، كما أن المدخل الرئيس هو مقابل جدار المذبح، كما في باقي الكنائس[2].

---

(1) وفي الموروث الشعبي فإن سبع زيارات له تعادل حجة. (الباحث)

(2) الحمداني، عبد الأمير، والأسود، حكمت بشير، **خريطة عن التراث والآثار المسيحية في العراق**، فصل من كتاب **«المسيحيون في العراق، التاريخ الشامل والتحديات الراهنة»** تحرير سعد سلوم، 2014،ص 65 ـ 68.

سنورد أدناه شهادات لآثاريين ومؤرخين زاروا الموضع لأهميتها، ولهم من العلم بأمره درجة من يقين، وخاصةً شهادات العراقيين منهم، وبعضهم من أبناء مدينة الموصل، وقد قضوا وقتاً طويلاً في أعمال التنقيبات والتحري والبحث في مختلف مواقعها، ولهم مكانة علمية رفيعة ربما تتجاوز أقرانهم الأجانب:

- **الأب جان فييه**[1]: إن الدليل القاطع الذي من شأنه أن يضع حداً لهذه المعضلة هو أن نعرف مَن المدفون في الناؤوس في تل التوبة ليحل الإشكال، إن كان فعلاً هو الجاثليق الشرقي حنا نيشوع (سبر يشوع).
- **سعيد الديوه جي**[2] ـ (مدير متحف الموصل الحضاري): إننا لا نقدر أن نبت في صحة عائدية هذا القبر، كما أننا لا ننفي حدوث ما حصل، خاصةً أنَّ الدير القديم كان قريباً من المشهد، غربي تل التوبة مقابل أبواب الموصل الشرقية.
- **د. بهنام أبو الصوف**[3]: أنا كباحث آثاري لا زال السؤال لدي قائماً، مثاراً ومثيراً في الوقت ذاته حول حقيقة صاحب الصندوق المغطى بقماش أخضر، من عساه يكون؟
- **حكمت بشير الأسود**[4]: إن تسمية «مار يونان» تخص الدير المقام على اسم النبي يونان، لأنه كما هو معلوم عندما تنشأ كنيسة أو دير إنما

---

(1) فييه، موريس جان (الأب)، **الآثار المسيحية في الموصل**، ترجمة نجيب قاقو، مراجعة وتنقيح وتصحيح الأب البير أبونا، 2000، ص 12 ـ 15.

(2) الديوه جي، سعيد: **جامع النبي يونس**، مجلة سومر المجلد 2، 1954.

(3) ورد ضمن تصريح للآثاري العراقي الدكتور بهنام أبو الصوف، مدير آثار المنطقة الشمالية (1980 ـ 1986) في لقاء مع الباحث.

(4) حوار للباحث مع الآثاري العراقي الأستاذ حكمت بشير الأسود.

ينشأ على اسم أحد القديسين أو الشهداء (مثلما نقول دير مار بهنام أو دير مار متَّى...) أما الناؤوس (القبر) فهو للجاثليق حنا نيشوع المتوفى سنة 700م، والمدفون في دير مار يونان الذي أصبح لاحقاً جامع النبي يونس. وأن الصندوق الأخضر المغطى بقماش، والذي ذكره د. أبو الصوف، يحتوي جثمان الجاثليق حنا نيشوع (وأنا شخصياً شاهدته أكثر من مرة في موقعه).

- **د. عبد الأمير الحمداني**[1]: تاريخياً لا توجد أدلة معتبرة على أن هذا المكان هو مرقد أو ضريح للنبي يونس أو أي نبي آخر، ولا بد من التأكيد على عائدية هذا الموضع من خلال المخطوطات والكتب المسيحية التي وثقت للموضوع، لكن المكان الآن ارتبط بالذاكرة الشعبية على أنه مسجد أو مرقد النبي يونس.
- **أ.د. عامر عبد الله الجميلي**: لا أعتقد، وبشكل جازم، بعائدية هذا القبر إلى النبي يونس.

وتأسيساً على ما ورد من تحليلات تاريخية وشهادات لآثاريين ومؤرخين بأسانيد علمية، وما أثبتته الحفريات أثناء تجديد جامع النبي يونس في تسعينيات القرن الماضي، من جهة ظهور المنحوتات الجدارية العديدة التي صُبَّت بجانبها دعامات كونكريتية، فإننا نتوقع، وبدرجةٍ من يقين، أن ثمة لبساً تاريخياً قد حصل في عائدية الناؤوس القابع في تل التوبة، وما يؤكد ذلك أن الأدلة والمعطيات الأثرية تقول إنه التل الثاني الذي يخفي تحته قصور الملك الآشوري آشور أخي إدِينا (أسرحدون)

---

(1) ورد التصريح ضمن البرنامج التلفزيوني (حوار خاص) على قناة الحرة مع الإعلامي سعدون محسن ضمد، بتاريخ 16 مايس 2017.

ومنشآته، وهو ربما يعادل، من حيث القيمة التاريخية، ما عُثر عليه في التل المقابل له في أكروبوليس (قوينجق) كما أسلفنا، ويخفي في رحمه منحوتات قيّمة لا تقدر بثمن تعود لأربعة ملوك آشوريين من الفترة الذهبية للعصر الإمبراطوري الآشوري الحديث[1].

جهود التنقيب الحالية في تل النبي يونس

من الجدير بالذكر أن الهيئة العامة للآثار والتراث أجازت عام 2018 لفريق من جامعة هايدلبيرغ الألمانية بالتنقيب في التل، وكانت باكورة المسح العام العثور على أنفاق ومغارات تتغلغل في جسد التل من الداخل لتشكل ما يشبه قطعةً من الجبن السويسري، بحسب البروفيسور بيتر ميغلوس من الجامعة الآنفة الذكر، والذي يرأس الفريق في الموقع. ويبدو للوهلة الأولى أن معظم الأنفاق قد حُفرت باستخدام المعاول، لكن ثمة دلائل تشير أيضاً إلى استخدام حفارات صغيرة. ويبلغ ارتفاع أكبر نفق حوالي 3 أمتار ونصف المتر، وأصغرها لا يزيد ارتفاعه عن متر.

الاكتشاف المفاجئ، الذي أدهش الجميع، كان العثور على زوج من نقوش، يُظهر كل نقش صفاً من النساء. وقد أثار هذا الاكتشاف أسئلةً أكثر

---

(1) وهم الذين ورد ذكرهم في ما أظهرته حفريات هنري رولنسون التي دونها في كتابه «موجز تاريخ بلاد آشور، 1852م» وذكر فيه كشفه عن 3 أسماء حينها تعود لكل من الملوك شلمانو أشاريد الثالث (شلمنصر)، سين أخي ريبا (سنحاريب)، وآشور أخي إيدنا (أسرحدون)، ورابعهم هو آشور بانِ أبلِ (آشور بانيبال) الذي كُشف عنه في تنقيبات دائرة الآثار العامة القديمة، وورد ذكره في تقرير الأستاذ ناجي الأصيل عن القصر الآشوري في تل النبي يونس، مجلة سومر، ج2، 1954، وكذلك في تقرير السيد عبدالستار العزاوي عن ظهور الثور المجنح في تل النبي يونس، صحيفة العراق، العدد 3271، في27/ 10/ 1986، وجريدة الثورة، العدد 6018، في 16/ 11/ 1986.

من تقديمه إجابات، فالنساء في هذه النقوش المكتشفة يظهرن بوجوه كاملة بدلاً من ظهورهن من جهة جانب الوجه فقط، كما جرت العادة بالنسبة للمنحوتات الآشورية، فمن غير المألوف أن تجد شخصيات نسائيةً على هذه الشاكلة. إن النساء اللواتي يظهرن في النقوش، أصلاً، غالباً ما يكونن أسيرات كغنائم حرب، أو يجري تصويرهن بنقوشٍ أقل حجماً، لكن على ما يبدو، وفي غياب علامات الألوهية المتعارف عليها في النحت العراقي من القرون والتيجان، فلربما مثلت هذه المنحوتات نساءً من خواص أو نبيلات المجتمع الآشوري.

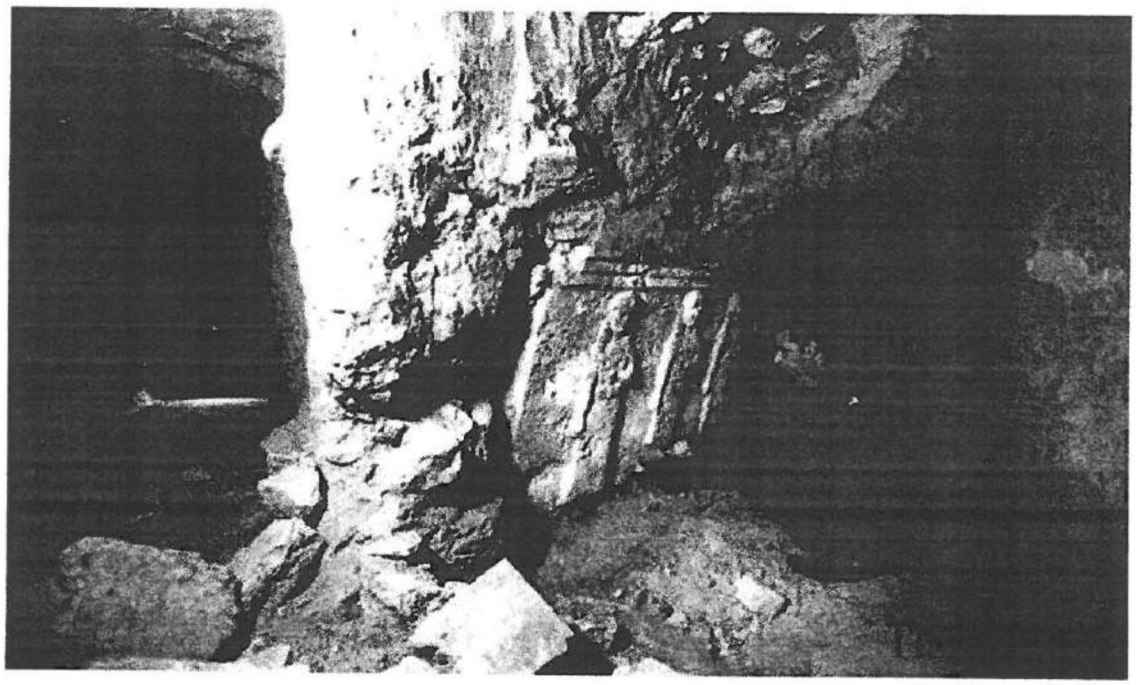

شكل (14): ظهور جداريات آشورية في أنفاق تل التوبة (النبي يونس) عام 2018.

لم تُجرَ أية دراسة أكاديمية بعدُ حول ما تصوره تلك النقوش. ومن المبكر استخلاص نتائج مهمة استناداً على ما عُثر عليه في الأنفاق. ليس أقله أن بعض الصور المنقوشة والكتابات عُثر عليها مقلوبةً رأساً على عقب، ما يوحي بأنها ربما أُخذت من مكان آخر.

وعلى ما يبدو فإن هذا الموقع المهم سيكون، كما عرضنا في فصول هذه الدراسة، فتحاً جديداً، وربما يعوض به العراق ما نُهب من إرثه على يد قناصل القرن التاسع عشر ومغامريه من الأوربيين والعثمانيين، الذين عبأوا بسرقاتهم قاعات المتاحف العالمية ومخازنها، كالبريطاني واللوفر وإسطنبول، بل بلغت بهم الجراءة إلى تداولها وبيعها للاتجار وتحقيق الأرباح، في الوقت الذي تعاني فيه قاعات متاحف العراق من الشحة في الآثار المعروضة، وإذا ما وُجدت فهي إما نسخ جبسية بائسة أو رقمية من لدائن صناعية لطابعات ثلاثية الابعاد تحاول محاكاة الاصل. وقد نحتاج إلى إعادة التفكير في أمر آخر مهم هو عدم الاقتصار، في منح إجازة التنقيب في هذا الموقع، على البعثة الألمانية، وإنما الدعوة إلى حملة تنقيب دولية يقودها العراق بإشراف اليونسكو، وخبراء عالميين أكفاء، وتشكيل فرق مشتركة أجنبية وعراقية، والتركيز على الجهد الوطني، ابتداءً من المسح الأولي ومرورا بالتنقيب والدراسة والتحليل، ومشاركة البعثات الأجنبية في النشر محلياً ودولياً، لنستعيد بذلك الدور الرائد للمؤسسة العراقية الوطنية العريقة للآثار، والتي كانت بحق أحد أبرز وجوه المنجز العلمي المشرّف لعراق الحضارة والتاريخ.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد).

1 - أبو الفداء القرشي الدمشقي، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير طبعة طيبة)**، القاهرة، 1999.

2 - إبن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم، **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، 2011.

3 - إبن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، **رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار إحياء العلوم، بيروت، 2014.

4 - إبن متى، عمرو، **المجدل للاستبصار والجدل**، دار ومكتبة بيبليون، بيروت، 2012.

5 - الثعلبي، ابن إسحاق إبراهيم النيسابوري، **قصص الأنبياء** المسمى بعرائس المجالس، المكتبة الثقافية، القاهرة، 2009.

6 - جمال الدين ابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1993.

7 ـ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.

8 ـ الزركلي، خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت،2002.

9 ـ السهيلي، أبو القاسم، **الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام**، المكتبة العصرية، بيروت، 2001.

المراجع العربية

1 ـ الآلوسي، سالم، **رواد علم الآثار في العراق**، الوراق للنشر والتوزيع، بغداد، 2015.

2 ـ أبونا، البير، **ديارات العراق**، بغداد، 2006.

3 ـ الليدي، دراور، **على ضفاف دجلة والفرات**، ترجمة فؤاد جميل، دارالوراق، لندن، 2013.

4 ـ باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات**، دار الوراق للنشر والتوزيع، بغداد، 2011.

5 ـ باقر، طه، **مقدمة في أدب العراق القديم**، دار الوراق للنشر والتوزيع، بغداد، 2010.

6 ـ باقر، طه، وسفر، فؤاد، **المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة: الرحلة الثالثة**، وزارة الإرشاد، بغداد، 1962.

7 ـ باقر، طه، **من تراثنا اللغوي القديم**، دار الوراق للنشر والتوزيع، بغداد، 2010.

8 ـ بلاك، جيرمي، وغرين، أنتوني، **آلهة، شياطين ورموز من بلاد ما بين النهرين القديمة**، قاموس توضيحي، منشورات المتحف البريطاني، لندن، 1992.

9 ـ بوتيرو، جان، **الديانة عند البابليين**، ترجمة وليد الجادر، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2017.

10 ـ تافرنييه، جان بابتيست، **رحلة الفرنسي تافرنييه إلى العراق في القرن السابع عشر**، تعريب كوركيس عواد، وبشير فرنسيس، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006.

11 ـ التطيلي، بنيامين، **رحلة بنيامين التطيلي**، ترجمة وتحقيق عزرا حداد، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002

12 ـ جواد، مصطفى، والآلوسي، سالم، والعمري، سعاد، **رحلة نيبور الكاملة إلى العراق**، (تحقيق)، دار الوراق، لندن، 2012.

13 ـ حداد، بنيامين، **موسوعة الديارات**، المجلد 9، دير مار يونان، دارالمشرق الثقافية، دهوك، 2013.

14 ـ الحمداني، عبد الأمير، والأسود، حكمت بشير، **خريطة عن التراث والآثار المسيحية في العراق**، فصل من كتاب «**المسيحيون في العراق، التاريخ الشامل والتحديات الراهنة**»، تحرير سعد سلوم، مؤسسة مسارات، بغداد، 2014.

15 ـ حنون، نائل، **مدن قديمة ومواقع آثرية**، دار الزمان للنشر، دمشق، 2009.

16 ـ دويكات، فؤاد عبد الرحيم، **رحلة الرّبي بتاحيا الرتسبوني (1175ـ 1180 م)/ (571 ـ 576 هج)**، ترجمة وتحقيق، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2011.

17 ـ روبنسون إدوارد، **بحث توراتي عن فلسطين والأقاليم المجاورة**، ترجمة أسد شيخاني، دار المكشوف، بيروت،1949.

18 ـ ريج، كلوديوس جيمس، **رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام1820**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.

19 ـ ساكز، هاري، **قوة آشور**، ترجمة د. عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1999.

20 ـ سليمان، عامر، **العراق في التاريخ القديم**، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي، بيروت، 1990.

21 ـ الصليبي، كمال سليمان، **خفايا التوراة**، دار الساقي، بيروت، 2006.

22 ـ عبد الواحد علي، فاضل، **سومر أسطورة وملحمة**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000.

23 ـ عواد، كوركيس، وسركيس، يعقوب، **أصول أسماء مدن وقرى عراقية**، دار الوراق للنشر والتوزيع، لندن، 2009.

24 ـ غنيمة، يوسف رزق الله، **نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**، دار الوراق للنشر والتوزيع، لندن، 1997.

25 ـ فييه، موريس جان (الأب)، **الآثار المسيحية في الموصل**، ترجمة نجيب قاقو، مراجعة وتنقيح وتصحيح الأب البير أبونا، بغداد، 2000.

26 ـ كوبي، نورا، **الطريق إلى نينوى**، دار المأمون للنشر، بغداد، 1998.

27 ـ كونتينو، جورج، **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

28 ـ لابات، رينيه، **قاموس العلامات المسمارية**، ترجمة د. عامر سليمان، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 2004.

29 ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، القاهرة،2011.

30 ـ المقاري، أثناسيوس، **معجم المصطلحات الكنسية**، الجزء الأول، القاهرة، 2012.

31 ـ الندوي، محمد إسماعيل، **المهابهارتا**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1967.

الدوريات

1 ـ الأصيل، ناجي، **القصر الآشوري في النبي يونس**، مجلة سومر، المجلد 10 ج2، بغداد، 1954.

2 ـ الديوه جي، سعيد، **جامع النبي يونس**، مجلة سومر، المجلد10 ، بغداد، 1954.

3 ـ الديوه جي، سعيد، **جوامع الموصل في مختلف العصور**، مجلة سومر، المجلد19 ، بغداد، 1963.

4 ـ الديوه جي، سعيد، **مسجد عين يونس**، مجلة سومر، المجلد، 22، بغداد، 1966.

5 ـ فيكنتيف، فلادمير، **تعليقات على تماثيل تهراقة من قصر أسرحدون**، مجلة سومر، المجلد11 ، بغداد، 1955.

الصحف

العزاوي، عبد الستار، «**ظهور الثور المجنح في تل النبي يونس**»، صحيفة العراق، العدد 3271، 27 / 10/ 1986، وجريدة الثورة العدد 6018، 16/ 11/ 1998.

رسائل جامعية

الفتلاوي، أحمد حبيب سنيد، **أسرحدون (680 - 669 ق. م)**، رسالة ماجستير، جامعة واسط، 2009.

حوارات ولقاءات

1 ـ لقاء الباحث عبدالسلام صبحي طه مع الآثاري العراقي الدكتور بهنام أبو الصوف.

2 ـ حوار الباحث عبدالسلام صبحي طه مع الآثاري العراقي الأستاذ حكمت بشير الأسود.

3 ـ لقاء د. عبد الأمير الحمداني مع الإعلامي سعدون محسن ضمد في برنامج «**حوار خاص**» على قناة الحرة، بتاريخ 16 مايس2017.

مواقع إلكترونية

1 ـ الموقع الرسمي للآثاري العراقي الدكتور بهنام أبو الصوف:
www.abualsoof.com

2 ـ موقع العراق في التاريخ: www.iraqinhistory.com

3 ـ مدونة د. إبراهيم العلاف: www.allafblogspot.com

المراجع الأجنبية

1 - Dalley, Stephanie Mary, **The Mystery of the Hanging Garden of Babylon: An Elusive World Wonder Traced**, Oxford University Press, London; (2013).

2 - De Miroop, Van, **A History of Ancient Egypt**, Wiely Blackwell, London; (2011).

3 - Gadd, C.J. **The stones of Assyria**, Chatto and WindusLondon; (1936).

4 - Guénon, René K, **Symbols of sacred science**, translated by Alvin Moore New York; (2002).

5 - Jermey Black, et al, **Aconcise Dictionary of Akkadian CDA**, Vol 5, Wiesbade; (2000).

6 - Jermey Black et al, **Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, An Illustrated Dictionary**, British Museum, London; (1992).

7 - Luckenbill. Daniel David, **Arab, Vol II**, Chicago, University of Chicago Press; (1927).

8 - Oppenheim, A. Leo, **Ancient Mesopotamia: Portrait of a Dead Civilization**; (1964).

9 - Pritchard J.B, **The Ancient Near East Vol. I.** Princeton University Press; (1973).

10 - **The Babyloniaca of Berossus**, Undena Publications Malibu; (1978).

قائمة بالصور

- شكل (1): صور حديثة للأنفاق التي وجدت في أسفل تل النبي يونس بعد تحرير الجيش العراقي للمنطقة عام 2017.
- شكل (2): المخلوق الأسطوري (أونس/ Onnas) في جدارية.
- شكل (3): نماذج من طبعات أختام وتماثيل عراقية قديمة تُظهر الآبكالُ (الرجل ـ السمكة).
- شكل (4): المهابهارتا ـ فصل (ماتسايا بورانا) تجسد الإله فشنو بهيئة (سمكة).
- شكل (5): تفسير اسم السمكة المخلّصة.
- شكل (6): رسمة تُظهر الإله نون حاملاً سفينة.
- شكل (7): مخطط رحلة يونان المفترضة من يافا باتجاه تارشيش والعودة إلى فلسطين، ومنها إلى نينوى (أطلس الكتاب المقدس).
- شكل (8): رسمة لتل النبي يونس من رحلة فلاندان 1840 ـ 1845.
- شكل (9): مخطط جامع النبي يونس.
- شكل (10) صور توثق لتل النبي يونس إبان حفريات المؤسسة العامة للآثار والتراث عام 1990.
- شكل (11): قبرالنبي يونس ومسجده في مدينة حلحول في فلسطين.

- شكل (12): مقام النبي يونس في بلدة كفرا في جنوب لبنان.
- شكل (13): مخطط رحلة يونان المقترحة في عُمان من قبل الباحث كمال الصليبي (خفايا التوراة).
- شكل (14): ظهور جداريات آشورية في أنفاق تل التوبة (النبي يونس) عام 2018.

قائمة ببعض الأسماء الواردة في الكتاب باللغات السومرية أو الاكدية و ما يقابلها بالعربية والعبرية

الاسم بالسومرية او الأكدية	الاسم بالعربية (الدلالة)	الاسم بالعبرية
شرو كين	سرجون (الملك الشرعي أو الثابت)	سرجون
نرام سن	نرام سين (محبوب إله القمر سين)	
گو ديا	المُنصّب حكمة (الصوت)	
آشورناصر إبلِ	آشورناصربال (آشور ناصر الوريث)	آشور ناصربال
توكلتي إبلِ إشرا	تيجلاتبليزر (المتوكل على ابن الوريث)	تجلاتبليزر
سين أخي ريبا/ أريبا	سنحاريب (سين مُكثر الأخوة)	سنحاريب
آشور أخي إدينا	أسرحدون (آشور أعطى أخاً)	سرحدن
آشور بانِ إبلِ	آشور بانيبال (آشور خالق الوريث)	آشور بانيبال
نينا/ نين وا	نينوى (موضع السمكة)	نينوى
كلخُ	نُمرود	كالح
دور شرو كين	خُرساباد (حصن سرجون)	خُرسباد

عن المؤلف

م. عبد السلام صبحي طه

مترجم وباحث في الشأن الآثاري العراقي.

*** صدر له:**

- **مذكرات الآثاري العراقي الدكتور بهنام أبو الصوف**، دار المدى، بغداد، 2014.
- **الكارثة: نهب آثار العراق وتدميرها**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2017.
- **العراق القديم (شاهد عيان)**، كتاب مساعد للمنهج، دار الرافدين للنشر، بيروت، 2019.
- **ذاكرة العراق في السوق السوداء.**

الموقع الإلكتروني الرسمي: (العراق في التاريخ)

www.iraqinhistory.com

www.abualsoof.com

للمراسلة:

iraqinhistory@gmail.com

Abdul Salam Subhi Taha

Tell Al-Taubah "Al-Nabi Yunus"
(Jonah's Hill of Repentance)

تلّ التوبة (النبيّ يونس)
في ضوء النصوص
الدينيّة والتاريخيّة والمكتشفات الأثريّة

تسلط هذه الدراسة الضوء على الموقع الديني المعروف بـ(النبي يونس) بشكل أعمق من الدراسات السابقة، وقدأحاط المؤلف بتفاصيل عن المكان، بما تيسر له من وسائل وسبُل معاصرة، إحاطة القلادة بالعنق، والسوار بالمعصم.

أتمنى أن تنفع الدراسة طلبة التاريخ والآثار والباحثين، وتوسع من دائرة معلوماتهم، وتغيّر الصورة النمطية والمشوشة عن الموقع بما تحمله من معطيات جديدة من شأنها إعمام الفائدة، والمضي باللاحق، وما إنتهى إليه الآخرون من نتائج علمية.

ومن الله التوفيق

أ. د. عامر عبد الله الجميلي

ISBN 978-9-9226236-2-7

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain_L
dar.alrafidain
dar alrafidain دار الرافدين

العراق في التاريخ
www.iraqinhistory.com